

لَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ
وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ
إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ *

سورة الأعراف

مكية إلا من آية ١٦٣ إلى غاية آية ١٧٠ فمدنية : وآياتها ٢٠٦ نزلت بعد ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْمَص * كَتَبُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لَتُنذِرَ بِهِ
وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * أَتَبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ *

(ومحياى وماتى) أى أعمالى فى حين حياتى وعند موتى (لله) أى خالصا لوجهه وطلب رضاه ، ثم أكد ذلك بقوله
لا شريك له : أى لا أريد بأعمالى غير الله فيكون نفيا للشرك الأصغر وهو الرياء ويحتمل أن يريد لا أعبد غير الله
فيكون نفيا للشرك الأكبر (وبذلك أمرت) إشارة إلى الإخلاص الذى تقتضيه الآية قبل ذلك (وأنا أول
المسلمين) لأنه صلى الله عليه وسلم سابق أمته (قل أغير الله أبغى ربا) تقرير وتوبيخ للكفار ، وسيبها أنهم دعوه
إلى عبادة آلهتهم (وهو رب كل شيء) برهان على التوحيد ونفى الربوبية عن غير الله (ولا تكسب كل نفس إلا
عليها) رد على الكفار لأنهم قالوا له اعبد آلهتنا ونحن نتكفل لك بكل تباعة توقعها فى دنياك وأخراك ، فنزلت
هذه الآية : أى ليس كما قلتم ، وإنما كسب كل نفس عليها خاصة (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا يحمل أحد
ذنوب أحد ، وأصل الوزر الثقل ، ثم استعمل فى الذنوب (خلائف) جمع خليفة : أى يخلف بعضهم بعضا فى
السكنى فى الأرض أو خلائف عن الله فى أرضه ، والخطاب على هذا لجميع الناس ، وقيل لأمة محمد صلى الله عليه
 وآله وسلم لأنهم خلفوا الأمم المتقدمة (ورفع بعضهم) عموم فى المال والجاه والقوة والعلوم وغير ذلك مما
وقع فيه التفضيل بين العباد (ليبلوكم فيما آتاكم) ليختبر شكركم على ما أعطاكم ، وأعمالكم فيما مكنكم فيه (إن ربك
سريع العقاب وإنه لغفور رحيم) جمع بين التخويف والترجية ، وسرعة عقابه تعالى : إما فى الدنيا بمن عجل
أخذه ، أو فى الآخرة لأن كل آت قريب ، ونسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا بفضلته ورحمته

﴿سورة الأعراف﴾

(المص) تكلمنا على حروف الهجاء فى البقرة (خرج منه) أى ضيق من تبليغه مع تكذيب قومك ، وقيل الحرج
هنا الشك ، فتأويله كقوله فلا تكن من الممترين (لتنذر) متعلق بأنزل (وذكرى) منصوب على المصدرية بفعل
مضمر تقديره لتنذروا تذكرى ، لأن الذكر بمعنى التذكير ، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر ، أو مخفوض
عطفا على موضع لتنذروا (قليلًا مآتذ كرون) انتصب قليلا بتذ كرون أى تذ كرون تذ كرا

وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ۖ فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۚ فَلَنَسَلْنِ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسَلْنِ الْمُرْسَلِينَ ۚ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ۚ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۚ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ۚ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۚ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۚ قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ۚ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ۚ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ۚ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۚ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۚ ثُمَّ لَا تَنِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ

قليلًا وما زائدة للتوكيد (أهلكناها فجاءها بأسنا) قيل إنه من المقلوب تقديره : جاءها بأسنا فأهلكناها ، وقيل المعنى : أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا لأن مجيء البأس قبل الإهلاك فلا يصح عطفه عليه بالفاء ويحتمل أن فجاءها بأسنا استثناء على وجه التفسير للإهلاك ، فلا يحتاج إلى تكلف ، والمراد أهلكنا أهلها فجاءهم ، ثم حذف المضاف بدليل أو هم قائلون (بيانا أو هم قائلون) بيانا مصدر في موضع الحال بمعنى بائنين أى بالليل ، وقائلون من القائلة : أى بالنهار ، وقد أصاب العذاب بعض الكفار المتقدمين بالليل ، وبعضهم بالنهار ، وأوهنا للتنويع (دعواهم) أى ما كان دعاؤهم واستغاثتهم إلا للاعتراف بأنهم ظالمون ، وقيل المعنى أن دعواهم هنا ما كانوا يدعونه من دينهم ، فاعترفوا لما جاءهم العذاب أنهم كانوا ظالمين في ذلك (أرسل إليهم) أسند الفعل إلى الجار والمجرور ، ومعنى الآية : أن الله بسأل الأمم عما أجابوا به رسالهم ، ويسأل الرسل عما أجيبوا به (فلنقصن عليهم) أى على الرسل والأمم (والوزن) يعنى وزن الأعمال (يومئذ) أى يوم يسئل الرسل وأممهم وهو يوم القيامة (بآياتنا يظلمون) أى يكذبون بها ظلمًا (خلقناكم ثم صورناكم) قيل المعنى أردنا خلقكم وتصويركم (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وقيل خلقنا أباكم آدم ثم صورناه ، وإنما احتيج إلى التأويل ليصح العطف (الأتسجد) لازادة للتوكيد (إذ أمرتك) استدل به بعض الأصوليين على أن الأمر يقتضى الوجوب والفور ، ولذلك وقع العقاب على ترك المبادرة بالسجود (قال أنا خير منه) تعليل علل به إبليس امتناعه من السجود ، وهو يقتضى الاعتراض على الله تعالى في أمره بسجود الفاضل للمفضول على زعمه ، وبهذا الاعتراض كفر إبليس إذ ليس كفره كفر جحود (فاهبط منها) أى من السماء (قال فبما أغويتني) الفاء للتعليل وهى تنعاق بفعل قسم محذوف تقديره أقسم بالله بسبب إغرائك لى لأغوين بنى آدم ، وبامصدرية ، وقيل استفهامية ويطله ثبوت الألف فى مامع حرف الجر (صراطك) يريد طريق الهدى والخير وهو منصوب على الظرفية (ثم لا تنيهم من بين أيديهم) الآية : أى من الجهات الأربع ، وذلك عبارة عن تسليطه على بنى آدم كيفما أمكنه ، وقال ابن عباس من بين أيديهم الدنيا ، ومن خلفهم الآخرة ، وعن أيمنهم

وَمَنْ خَلْفَهُمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْهُومًا مَذْهُورًا
لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَا مَلَانَ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ * وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا
وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيَدِي لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ
سَوَاءِ الثَّمَرَاتِ وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا
إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاءُ الثَّمَرَاتِ وَطَفَقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ
وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَا
رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ
فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ * يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا
عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ اتِّكُم وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ *

الحسنات ، وعن شمائلهم السيئات (مذهوما) من ذامه بالهمز إذا ذمه (مذحورا) أي مطرودا حيث وقع
(فوسوس) إذا تكلم كلاما خفيا يكرره ، فعنى وسوس لهما : ألقي لهما. هذا الكلام (ليدي لهما ما ووري
عنهما من سوا آتهما) أي يظهر ماستر من عوراتهما واللام في قوله ليدي للتعليل إن كان في انكشافهما
غرض لإبليس ، أو للصيرورة إن وقع ذلك بغير قصد منه إليه (الشجرة) ذكرت في البقرة (إلا أن تكونا
ملكين) أي كراهة أن تكونا ملكين ، واستدل به من قال إن الملائكة أفضل من الأنبياء ، وقرىء ملكين
بكسر اللام ، ويقوى هذه القراءة قوله وملك لا يلبى (وقاسمهما) أي حلف لهما إنه لمن الناصحين وذ كر قسم
لإبليس بصيغة المفعلة التي تكون بين الاثنين لأنه اجتهد فيه : لأنه أقسم لهما وأقسم له أن يقبل نصيحته
(ندلاهما) أي أنزلهما إلى الأكل من الشجرة (بغرور) أي غرهما بحمله لهما لآلهما ظنا أنه لا يحلف كاذبا
(بدت لهما سوا آتهما) أي زال عنهما اللباس وظهرت عوراتهما ، وكان لا يريها من أنفسهما ، ولأحدهما
من الآخر ، وقيل كان لباسهما نور يحول بينهما وبين النظر (يخصفان عليهما من ورق الجنة) أي يصلان بعضه
ببعض ليستترا به (وناداهما ربهما) يحتمل أن يكون هذا النداء بواسطة ملك ، أو بغير واسطة (ربنا ظلمنا
أنفسنا) اعتراف وطلب للمغفرة والرحمة ، وتلك هي الكلمات التي تاب الله عليه بها (اهبطوا) وما بعده
مذكور في البقرة (فيها تحيون) أي في الأرض (لباسا) أي الثياب التي تستر ، ومعنى أنزلنا خلقنا ، وقيل المراد
أنزلنا ما يكون عنه اللباس وهو المطر ، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على وجوب ستر العورة (ريشا)
أي لباس الزينة وهو مستعار من ريش الطائر (ولباس التقوى) استعار للتقوى لباسا كقولهم ألبسك الله
قيص تقواه ، وقيل لباس التقوى ما يتقى به في الحرب من الدروع وشبهها ، وقرىء بالرفع على الابتداء أو
خبره الجملة ، وهى ذلك خير (ذلك من آيات الله) الإشارة إلى ما أنزل من اللباس ، وهذه الآية واردة على

يَبْنَىٰ ءَادَمَ لَا يَفْتَنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ اتِهِمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَسْرَنَاهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۚ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۚ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ۚ يَبْنَىٰ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۚ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۚ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۚ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ

وجه الاستطراد عقيب ما ذكر من ظهور السوات وخصف الورق عليها ليبين لإعناؤه على ما خلق من اللباس (ينزع عنهما لباسهما) أى كان سببا في نزاع لباسهما عنهما (من حيث لا ترونهم) يعنى في غالب الأمر، وقد استدل به من قال إن الجن لا يرون وقد جاءت في رؤيتهم أحاديث صحيحة، فتحمل الآية على الأكثر جمعا بينها وبين الأحاديث (وإذا فعلوا فاحشة) قيل هى ما كانت العرب تفعله من الطواف بالبيت عراة الرجال والنساء، ويحتمل العموم في الفواحش (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) اعتذروا بعذرين باطلين أحدهما: تقليد آباءهم، والآخر: افتراؤهم على الله (وأقيموا وجوهكم) قيل المراد إحضار النية، والإخلاص لله، وقيل فعل الصلاة والتوجه فيها (عند كل مسجد) أى في كل مكان سجود أو في وقت كل سجود والأول أظهر، والمعنى لإباحة الصلاة في كل موضع كقوله صلى الله عليه وسلم: جعلت لى الأرض مسجدا (كما بدأكم تعودون) احتجاج على البعث الأخرى بالبداة الأولى (فريقا) الأول منصوب بهدى، والثانى منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده (خذوا زينتكم) قيل المراد به الثياب الساترة، واحتج به من أوجب ستر العورة في الصلاة، وقيل المراد به الزينة زيادة على الستر كالتجمل للجمعة بأحسن الثياب وبالسواك والطيب (وكلوا واشربوا) الأمر فيهما للإباحة، لأن بعض العرب كانوا يحرمون أشياء من الماء كل (ولا تسرفوا) أى لا تكثروا من الأكل فوق الحاجة، وقال الأطباء: إن الطب كله مجرم في هذه الآية، وقيل لا تسرفوا بأكل الحرام (قل من حزم زينة الله) إنكار لتحريمها وهو ما شرعه الله لعباده من الملابس والمآكل، وكان بعض العرب إذا حجوا يحزدون الثياب ويطوفون عراة، ويحرمون الشحم واللبن، فنزل ذلك ردا عليهم (خالصة يوم القيامة) أى الزينة والطيب في الدنيا للذين آمنوا ولغيرهم، وفي الآخرة خالصة لهم دون غيرهم، وقرئ خالصة بالنصب على الحال، والرفع على أنه خبر بعد خبر، أو خبر ابتداء مضمر (والإثم) عام في كل ذنب (وأن تقولوا على الله)

أَجْلَهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۖ يَبْنِي ۚ أَدَمَ إِمَامًا يَأْتِينَكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ ۖ آيَاتِي
فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۖ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم
مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتُوفَوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا
وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ۖ قَالَ أُدْخِلُوا فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ فِي
النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِبُهُمْ لَأُولَهُمُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا
فَتَأْتِيهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۖ وَقَالَتْ أُولَاهُمُ لَأَخْرِبُهُمْ فَأَ كَانَ لَكُمْ
عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ۖ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحْ
لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ۖ لَهُمْ مِّنْ
جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنَ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ نَفْسًا
إِلَّا وَسُعْيَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۖ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ

أى تفتروا عليه فى التحريم وغيره (فإما يأتينكم) هى إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة للأكيد، ولزمتها
النون الشديدة المؤكدة، وجواب الشرط فمن اتقى الآية (فمن أظلم) ذكر فى الانعام (ينالهم نصيبهم من الكتاب)
أى يصل اليهم ما كتب لهم من الارزاق وغيرها (ضلوا عنا) أى غابوا (ادخلوا فى أمم) أى ادخلوا
النار فى جملة أمم أو مع أمم (اداركوا) تلاحقوا واجتمعوا (قالت أخراهم لأولاهم) المراد بأولاهم
الرؤساء والقادة، وأخراهم الاتباع والسفلة، والمعنى أن أخراهم طلبوا من الله أن يضاعف العذاب لأولاهم
لأنهم أضلوا، وليس المعنى أنهم قالوا لهم ذلك خطا بهم، إنما هو كقولك قال فلان فلان كذا: أى
قاله عنه وإن لم يخاطبه به (وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل) أى لم يكن لكم علينا فضل
فى الإيمان والتقوى يوجب أن يكون عذابنا أشد من عذابكم بل نحن وأنتم سواء (فذوقوا العذاب) من
قول أولاهم لأخراهم أو من قول الله تعالى لجميعهم (لا تفتح لهم أبواب السماء) فيه ثلاثة أقوال: أحدها:
لا يصعد عنهم إلى السماء، والثانى لا يدخلون الجنة، فإن الجنة فى السماء، والثالث لا تفتح أبواب السماء
لأرواحهم إذا ماتوا كما تفتح لأرواح المؤمنين (حتى يلج الجمل فى سم الخياط) أى حتى يدخل الجمل فى ثقب
الإبرة، والمعنى لا يدخلون الجنة حتى يكون مالا يكون أبداً، فلا يدخلونها أبداً (مهاد) فراش (غواش)
أغطية (لأنكف نفسا إلا وسعها) جملة اعتراض بين المبتدأ والخبر ليبين أن ما يطلب من الأعمال الصالحة
ما فى الوسع والطاقة (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) أى من كان فى صدره غل لآخيه فى الدنيا نزع منه

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا
 أَنَّ تِلْكَ الْجَنَّةُ أَوْ رِثْمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا
 حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذْنُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ، الَّذِينَ يَصُدُّونَ
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ، وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا
 بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ، وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ
 أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ
 قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ، أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا

في الجنة وصاروا إخوانا أحبابا ، وإنما قال نزعنا بلفظ الماضي وهو مستقبل لنحقق وقوعه في المستقبل
 حتى عبر عنه بما يعبر عن الواقع ، وكذلك كل ما جاء بعد هذا من الأفعال الماضية في اللفظ وهي تقع
 في الآخرة كقوله : نادى أصحاب الجنة ، ونادى أصحاب الأعراف ، ونادى أصحاب النار ، وغير ذلك (هدانا
 لهذا) إشارة إلى الجنة أو إلى ما أوجب من الإيمان والتقوى (أن تلتكم الجنة) وأن قد وجدنا ، وأن لعنة ،
 وأن سلام : يحتمل أن يكون أن في كل واحدة منها مخففة من الثقيلة ، فيكون فيها ضميرا أو حرف عبارة وتفسير
 المعنى القول (ما وعدنا ربنا حقا) حذف مفعول وعد استغناء عنه بمفعول وعدنا أو لإطلاق الوعد فيتناول
 الثواب والعقاب (أذن مؤذن) أى أعلم معلم وهو ملك (وبينهما حجاب) أى بين الجنة والنار أو بين أصحابها
 وهو أرجح لقوله : فضرِبَ بينهم بسور (الأعراف) قال ابن عباس هو تل بين الجنة والنار ، وقيل سور
 الجنة (رجال) هم أصحاب الأعراف ورد في الحديث أنهم قوم من بنى آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلم
 يدخلوا الجنة ولا النار ، وقيل هم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم ، فاستشهدوا ، فمنعوا من الجنة
 لعصيان آبائهم ، ونجوا من النار للشهادة (يعرفون كلا بسيماهم) أى يعرفون أهل الجنة بعلامتهم من يياض
 وجوههم ، ويعرفون أهل النار بعلامتهم من سواد وجوههم ، أو غير ذلك من العلامات (ونادوا أصحاب
 الجنة أن سلام عليكم) أى سلام أصحاب الأعراف على أهل الجنة (لم يدخلوها وهم يطمعون) أى أن أصحاب
 الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في دخولها من بعد (وإذا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ) الضمير لأصحاب الأعراف
 أى إذا رأوا أصحاب النار دعوا الله أن لا يجعلهم معهم (ونادى أصحاب الأعراف رجالا) يعنى من الكفار
 الذين في النار ، قالوا لهم ذلك على وجه التوبيخ (جمعكم) يحتمل أن يكون أراد جمعهم للبال أو كثرتهم
 (وما كنتم تستكبرون) أى استكباركم على النار أو استكباركم على الرجوع إلى الحق ، فما هاهنا مصدرية
 وما في قوله ، ما أغنى ، استفهامية أو نافية (أهؤلاء الذين أقسمتم) من كلام أصحاب الأعراف خطابا لأهل النار
 والإشارة بهؤلاء إلى أهل الجنة ، وذلك أن الكفار كانوا في الدنيا يقسمون أن الله لا يرحم المؤمنين ولا يعبا
 بهم فظهر خلاف ما قالوا ، وقيل هي من كلام الملائكة خطابا لأهل النار ، والإشارة بهؤلاء إلى أصحاب

الْجَنَّةَ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنِ افْضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ
أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ هَوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۝ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ
فَصَلَّاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ
مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ
إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا

الأعراف (ادخلوا الجنة) خطاباً لأهل الجنة إن كان من كلام أصحاب الأعراف تقديره قد قيل لهم ادخلوا
الجنة ، أو خطاباً لأهل الأعراف إن كان من كلام الملائكة (أن افضوا علينا من الماء) دليل على أن الجنة
فوق النار (أو مما رزقكم الله) من سائر الأطعمة والأشربة (فالיום ننساهم) أى تركهم (كأنسوا) الكاف
للتعليل (وما كانوا) عطف على كما نسوا : أى لنسيانهم وجحودهم (جئناهم بكتاب) يعنى القرآن (فصلناه
على علم) أى علينا كيف نفصله (إلا تأويله) أى هل ينظرون إلا عاقبة أمره ، وما يؤول إليه أمره بظهور
ما نطق به من الوعد والوعيد (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى قد تبين وظهر الآن أن الرسل جاؤا بالحق
(استوى على العرش) حيث وقع حمله قوم على ظاهره منهم ابن أبى زيد وغيره ، وتأوله قوم بمعنى قصد كقوله :
ثم استوى إلى السماء ، ولو كان كذلك لقال ثم استوى إلى العرش ، وتأولها الأشعرية أن معنى استوى
استولى بالملك والقدرة ، والحق الإيمان به من غير تكليف ، فإن السلامة فى التسليم ، والله در مالك بن
أنس فى قوله للذى سأله عن ذلك : الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عن هذا بدعة ، وقدرى مثل
قول مالك عن أبى حنيفة ، وجعفر الصادق ، والحسن البصرى ، ولم يتكلم الصحابة ولا التابعون فى معنى
الاستواء ، بل أمسكوا عنه ، ولذلك قال مالك السؤال عنه بدعة (يغشى الليل النهار) أى يلحق الليل بالنهار ،
ويحتمل الوجهين ، هكذا قال الزمخشرى ، وأصل اللفظة من الغشاء أى يحوط أحدهم غشاء الآخر يغطيه
فغطى ظلمة الليل ضوء النهار (يطالبه حثيثاً) أى سربعا ، والجملة فى موضع الحال من الليل أى يطالب الليل النهار
فيدركه (ألا له الخلق والأمر) قيل الخلق المخلوقات والأمر مصدر أمر يأمر ، وقيل الخلق مصدر خلق ،
والأمر واحد الأمور : كقوله إلى الله تصير الأمور ، والكل صحيح (تبارك) من البركة ، وهو فعل غير
منصرف لم تنطق له العرب بمضارع (تضرعا وخفية) مصدر فى موضع الحال وكذلك خوفا وطمعا ، وخفية
من الإخفاء ، وقرئ خيفة من الخوف (المعتدين) المجاوزين للحد ، وقيل هنا هور رفع الصوت بالدعاء والتشطط

فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ
بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِّتْهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ
النَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ

فيه (وادعوه خوفاً وطمعاً) جمع الله الخوف والطمع ليكون العبد خائفاً راجياً ، كما قال الله تعالى يرجون رحمة
ويخافون عذابه فإن ، موجب الخوف معرفة سطوة الله وشدة عقابه ، وموجب الرجاء معرفة رحمة الله وعظيم
ثوابه ، قال تعالى نبي عبادي أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابي هو العذاب الأليم ومن عرف فضل الله
رجاه ومن عرف عذابه خافه ولذلك جاء في الحديث ولو وزن خوف المؤمن ورجاؤه ، لاعتدلا إلا أنه يستحب
أن يكون العبد طول عمره يغلب عليه الخوف ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات وأن يغلب عليه الرجاء عند
حضور الموت لقر له صلى الله عليه وسلم ولا يمتحن أحدكم إلا وهو بحسن الظن بالله تعالى ، واعلم أن الخوف على ثلاث
درجات : الأولى أن يكون ضعيفاً يخطر على القلب ولا يؤثر في الباطن ولا في الظاهر ، فوجود هذا كعدم
والثانية أن يكون قوياً فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله على الاستقامة ، والثالثة أن يشتد حتى يبالغ إلى القنوط
والياس وهذا لا يجوز ، وخير الأمور أوسطها ، والناس في الخوف على ثلاث مقامات : تخوف العامة من
الذنوب ، وخوف الخاصة من الخاتمة ، وخوف خاصة الخاصة من السابقة ، فإن الخاتمة مبينة عليها ، والرجاء
على ثلاث درجات : الأولى رجاء رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعة وترك معصية فهذا هو الرجاء المحمود
والثانية الرجاء مع التفريط والعصيان فهذا غرور ، والثالثة أن يقوى الرجاء حتى يبالغ الأمن ، فهذا حرام ،
والناس في الرجاء على ثلاث مقامات : فمقام العامة رجاء ثواب الله ، ومقام الخاصة رجاء رضا الله ، ومقام
خاصة الخاصة رجاء لقاء الله حبا فيه وشوقاً إليه (إن رحمت الله قريب من المحسنين) حذفت تاء التأنيث من قريب
وهو خبر عن الرحمة على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم أو العفو أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقى أولآنه صفة
موصوف محذوف وتقديره شيء قريب أو على تقدير النسب أى ذات قرب ، وقيل قريب هنا ليس خبر عن
الرحمة وإنما هو ظرف لها (الرياح بشرا) قرئ الرياح بالجمع لأنها رياح المطر ، وقد اضطرر في القرآن جمعها
إذا كانت الرحمة ، وإفرادها إذا كانت للعذاب ، ومنه ورد في الحديث اللهم اجعلها ريحا ولا تجعلها ريحا
وقرئ بالإفراد ، والمراد الجنس وقرئ نشرا بفتح النون وإسكان الشين ، وهو على هذا مصدر في موضع
الحال ، وقرئ بضمها وهو جمع نشر ، وقيل جمع منشور ، وقرئ بضم النون وإسكان الشين وهو تخفيف
من الضم : كرسل ورسل ، وقرئ بالباء في موضع النون وهو من البشارة (بين يدي رحمة) أى قبل المطر
(أقلت) حملت (سحابا ثقالا) لأنها تحمل الماء فتثقل به (سقناه) الضمير للسحاب (لبلد ميت) يعنى لانبات
فيه من شدة القحط ، وكذلك معناه حيث وقع (فأنزلنا به الماء) الضمير للسحاب أو البلاد ، على أن تكون الباء
ظرفية (كذالك نخرج الموتى) تمثيل لإخراج الموتى من القبور وإخراج الزرع من الأرض ، وقد وقع
ذلك في القرآن في مواضع منها : كذلك النشور ، وكذلك الخروج (والبلد الطيب) هو الكريم من الأرض
الجيد التراب (والذى خبث) بخلاف ذلك كالسبخة ونحوها (بإذن ربه) عبارة عن السهولة والطيب . والنكد

لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكَدًا كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ * لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ - إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحَ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ * وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ - أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ * أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ

بخلاف ذلك ، فيحتمل أن يكون المراد ما يقتضيه ظاهر اللفظ فتكون متممة للمعنى الذى قبلها فى المطر ، أو تكون تمثيلا للقلوب ، فقل على هذا الطيب . قلب المؤمن ، والخبث : قلب الكافر وقيل هما للفهم والبلد (من إله غيره) قرأ الكسائى بالحفض حيث وقع على اللفظ ، وقرأ غيره بالرفع على الموضع (عذاب يوم عظيم) يعنى يوم القيامة أو يوم هلاكهم (الملا) أشرف الناس (ليس بى ضلالة) إنما قال ضلالة ولم يقل ضلال ، لأن الضلالة أخص من الضلال ، كما إذا قيل لك عندك تمر ، فتقول ما عندى تمرة فتع بالنى (أبلغكم) قرئ بالتشديد والتخفيف ، والمعنى واحد ، وهو فى موضع رفع صفة لرسول أو استئناف ، (أعلم من الله ما لا تعلمون) أى من صفاته ورحمته وعذابه (أو عجبتم) الهزمة الإنكار ، والواو للعطف ، والمعطوف عليه محذوف ، كأنه قال أ كذبتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم : أى على لسان رجل منكم (فى الفلك) متعلق بمعه والتقدير استقروا معه فى الفلك ويحتمل أن يتعلق بأنجيناه (عمين) جمع أعمى وهو من عمى القلب (أخاهم) أى واحد من قبيلتهم ، وهو عطف على نوحا ، وهودا بدل منه أو عطف بيان ، وكذلك أخاهم صالحا وما بعده ، وما هو مثله حيث وقع (الملا الذين كفروا) قيدنا بالكفر لأن فى الملا من قوم هود من آمن وهو مرثد بن سعيد ، بخلاف قوم نوح ، فإنهم لم يكن فيهم مؤمن ، فأطلق لفظ الملا (أمين) يحتمل أن يريد أمانته على الوحى أو أنهم قد كانوا عرفوه بالأمانة والصدق (خلفاء من بعد قوم نوح) أى خلفتهم فى الأرض أو جعلكم ملوكا (وزادكم فى الخلق بسطة) كانوا عظام الأجسام فكان أقصرهم ستون ذراعا ، وأطولهم مائة ذراع (آلاء الله) نعمه حيث وقع (قالوا أجتئنا لنعبد الله وحده) استبعدوا توحيد

كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَاتَّظَرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ ۝ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَّعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ الْعِيمِ * وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۝ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۝ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَالِحُ أَتُنَبِّئَانَا إِذْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ۝

الله مع اعترافهم بربوبيته ، ولذلك قال لهم هود (قد وقع عليكم) أى حق عليكم ووجب عذاب من ربكم وغضب (أتجادلوننى فى أسماء سميتوها) يعنى الأصنام : أى تجادلوننى فى عبادة مسميات أسماء ، فى الكلام حذف ، وأراد بقوله سميتوها أنتم وآباؤكم جعلتم لها أسماء ، فدل ذلك على أنها محدثة ، فلا يصح أن تكون آلهة ، أو سميتوها آلهة من غير دليل على أنها آلهة فتقولكم باطل : فالجدال على القول الأول فى عبادتها ، وعلى القول الثانى فى تسميتها آلهة ، والمراد بالأسماء على القول الأول : المسمى ، وعلى القول الثانى : التسمية (دابِر) ذكر فى الأنعام (بينه من ربكم) أى آية ظاهرة وهى الناقة ، وأضيفت إلى الله تشريفا لها ، أو لأنه خلقها من غير فخل ، وكانوا قد اقترحوا على صالح عليه السلام أن يخرجهم من صخرة ، وعاهدوه أن يؤمنوا به إن فعل ذلك ، فانشقت الصخرة وخرجت منها الناقة وهم ينظرون ، ثم تنجحت ولدا فأمن به قوم منهم وكفر به آخرون (لكم آية) أى معجزة تدل على صحة نبوة صالح ، والمجروح فى موضع الحال من آية ، لأنه لو تأخر لكان صفة (ولا تمسوها بسوء) أى لا تضربوها ولا تطردوها (وبوآكم فى الأرض) كانت أرضهم بين الشام والحجاز ، وقد دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال لهم عليه الصلاة والسلام : لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا وأتم باكون ، مخافة أن يصيبكم مثل الذى أصابهم (تتخذون من سهولها قصورا) أى تبنون قصورا فى الأرض البسيطة (وتنحتون الجبال بيوتا) أى تتخذون بيوتا فى الجبال ، وكانوا يسكنون القصور فى الصيف ، والجبال فى الشتاء ، وانتصب بيوتا على الحال وهو كقولك : خطت هذا الثوب قميصا (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا (إنا بالذى آمنتم به كافرون) إنما لم يقولوا إنا بما أرسل به كما قال الآخرون لئلا يكون اعترافا برسالة (فعقروا الناقة) نسب العقير إلى جميعهم لأنهم رضوا به ، وإن لم يفعله إلا واحد منهم وهو الأحيمر (الرجفة) الصيحة حيث وقعت ، وذلك أن الله أمر جبريل فصاح صيحة بين السماء والأرض

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُومَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَئِنْ لَمْ تُنِيبُوا لَتَكُنَّ لَكُمْ آيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ۚ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۚ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۚ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ۚ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْشِيَاءَ هُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ ۚ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ

فاتوا منها (جائمين) حيث وقع أى قاعدين لا يتحركون (فتولى عنهم) الآية : يحتمل أن يكون توليه عنهم وقوله لهم حين عقروا الناقة قبل نزول العذاب بهم ، لأنه روى أنه خرج حينئذ من بين أظهرهم ، أو أن يكون ذلك بعد أن هلكوا ، وهو ظاهر الآية ، وعلى هذا خاطبهم بعد موتهم على وجه التفجع عليهم ، وقوله : لا تحبون الناصحين : حكاية حال ماضية (إذ قال لقومه) العامل فى إذ أرسلنا المضر ، أو يكون بدلا من لوط (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) أى لم يفعلها أحد من العالمين قبلكم ، ومن الأولى زائدة ، والثانية للتبعيض أول للجنس (فما كان جواب قومه) الآية : أى أنهم عدلوا عن جوابه على كلامه إلى الأمر بإخراجه وإخراج أهله (أناس يتطهرون) أى يتزهدون عن الفاحشة (من الغابرين) أى من الهالكين ، وقيل من الذين غبروا فى ديارهم فهلكوا ، أو من الباقيين من أترابها يقال غبر بمعنى مضى ، وبمعنى بقى ، وإنما قال من الغابرين بجمع المذكر تغايبا للرجال الغابرين (وأمطرنا عليهم مطرا) يعنى الحجارة أصيب بها من كان منهم خارجا عن بلادهم ، وقلبت البلاد بمن كان فيها (بينه من ربكم) أى آية ظاهرة ، ولم تعين فى القرآن آية شعيب (فأوفوا الكيل والميزان) كانوا ينقصون فى الكيل والوزن ، فبعث شعيب ينههم عن ذلك ، والكيل هنا بمعنى المكيال الذى يكال به مناسبة للميزان كما جاء فى هود المكيال والميزان ، ويجوز أن يكون الكيل والميزان مصدرين (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) قيل هى هونى عن السلب وقطع الطريق ، وكان ذلك من فعلهم وكانوا يقعدون على الطريق يردون الناس عن اتباع شعيب ويوعدونهم إن اتبعوه (وتصدون) أى تمنعون الناس عن سبيل الله وهو الإيمان ، والضمير فى به للصراط والله (تبعونها عوجا) ذكر فى آل عمران (أو لتعودن فى ملتنا) أى

كُنَّا كَارِهِينَ * قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ * وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَتَنَّ أَتَّبَعَنَّكُمْ شُعْبًا إِنَّكُمْ إِذَا الْحَسِرُونَ * فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثْمِينَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَسِرِينَ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْعَنُ الْقَوْمَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولِي رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَاسِ * وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا

ليكونن أحد الأمرين : إما إخراجهم ، أو عودهم إلى ملة الكفر ، فإن قيل : إن العود إلى الشيء يقتضى أنه قد كان فعل قبل ذلك فيقتضى قولهم لتعودن في ملتنا أن شعيباً ومن كان معه كانوا أولاً على ملة قومهم ، ثم خرجوا منها فطلب قومهم أن يعودوا إليها وذلك محال ، فإن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها فالجواب من وجهين : أحدهما قاله ابن عطية وهو أن عاد قد تكون بمعنى صار ، فلا يقتضى تقدم ذلك الحال الذى صار إليه ، والثانى قاله الزمخشري وهو أن المراد بذلك الذين آمنوا بشعيب دون شعيب ، وإنما أدخلوه في الخطاب معهم بذلك كما أدخلوه في الخطاب معهم في قولهم : لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك ، فغلبوا في الخطاب بالعود الجماعة على الواحد ، وبمثل ذلك يجاب عن قوله إن عدنا في ملتكم ، وما يكون لنا أن نعود فيها (قال أولو كنا كارهين) الهمزة للاستفهام والإنكار ، والواو للحال ، تقديره : أنعود في ملتكم ويكون لنا أن نعود فيها ونحن كارهون (قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم) أى إن عدنا فيها فقد وقعنا في أمر عظيم من الافتراء على الله ، وذلك تارة من العود فيها (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) هذا استسلام لقضاء الله على وجه التأديب مع الله وإسناد الأمور إليه ، وذلك أنه لما تبرأ من ملتهم : أخبر أن الله يحكم عليهم بما يشاء من عود وتركه ، فإن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء ، فإن قلت : إن ذلك يصح في حق قومه وأما في حق نفسه فلا فإنه معصوم من الكفر ، فالجواب : أنه قال ذلك تواضعاً وتأدباً مع الله تعالى واستسلاماً لأمره كقول بدينا صلى الله عليه وسلم ديا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك . مع أنه قد علم أنه يثبت (ربنا افتح بيننا) أى احكم (كان لم يغنوا فيها) أى كأن لم يقيموا في ديارهم (فكيف آسى على قوم كافرين) أى كيف أحزن عليهم وقد استحقوا ما أصابهم من العذاب بكفرهم (بالباس والضرأ) قد تقدم (بدلنا مكان السيئة الحسنة) أى أبدلنا البأساء والضرأ بالنعيم اختباراً لهم في الحالين (حتى عفوا) أى كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم (قالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) أى قد جرى ذلك لأبائنا ولم يضرهم فهو بالاتفاق لا بقصد الاختبار (بركات من السماء والأرض) أى بالمطر والزرع (أو آمن) من

كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمَّنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتٌ وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمَّنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ * أَفَأَمَّنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا النَّعُومُ الْخَاسِرُونَ * أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصْبَلَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ * وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلُّوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بَيِّنَةً مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ * قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا

قرأ بإسكان الواو فهي أو العاطفة ، ومن قرأ بفتحها فهي واو العطف دخلت عليها همزة التوبيخ كما دخلت على الفاء في قوله أفأمنوا مكر الله : أي استدراجهم وأخذهم للعبد من حيث لا يشعرون (أو لم يهد) أي أو لم يهتدوا (للذين يرثون الأرض) أي يسكنوها (أن لو نشاء) هو فاعل أو لم يهد ، ومقصود الآية الوعيد (ونطبع على قلوبهم) عطف على أصبناهم لأنه في معنى المستقبل ، أو منقطع على معنى الوعيد وأجاز الرخصي أن يكون عطفا على يرثون الأرض أو على ما دل عليه معنى أو لم يهد كأنه قال يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) الضمير لأهل القرى والمعنى وجدناهم ناقضين للعهود (حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق) من قرأ على بالتشديد على أنها ياء المتكلم فالمعنى ظاهر ، وهو أن موسى قال حقيق عليه أن لا يقول على الله إلا الحق ، وموضع أن لا أقول على هذا رفع ، على أنه خبر حقيق ، وحقيق مبتدأ أو بالعكس ومن قرأ على بالتخفيف فموضع أن لا أقول خفض بحرف الجر ، وحقيق صفة لرسول ، وفي المعنى على هذا وجهان ، أحدهما أن على بمعنى الباء بمعنى الكلام رسول حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق ، والثاني أن معنى حقيق حريص ولذلك تعدي بعلى (قد جئتم ببينة من ربكم) أي بمعجزة تدل على صدقي وهي العصا أو جنس المعجزات (فأرسل معي بني إسرائيل) أي خلهم يذهبوا معي إلى الأرض المقدسة موطن آباؤهم ، وذلك أنه لما توفي يوسف عليه السلام غلب فرعون على بني إسرائيل واستعبدهم حتى أنقذهم الله على يد موسى ، وكان بين اليوم الذي دخل فيه يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى أربع مائة عاما (ونزع يده فإذا هي بيضاء) وكان موسى عليه السلام شديد الأدمة فأظهر يده لفرعون ثم أدخلها في جيبه ، ثم أخرجها وهي بيضاء شديدة البياض كاللبن أو أشد بياضا وقيل إنها كانت منيرة شفافة كالشمس ، وكانت ترجع بعد ذلك إلى لون بدنه (لنناظرين) مبالغة في وصف يده بالبياض وكان الناس يجتمعون للنظر إليها ، والتعجب منها (قال الملأ من قوم فرعون إن هذا ساحر

لَسَجِرٍ عَلِيمٍ ۝ يَرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَإِذَا تَأْمُرُونَ ۝ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَجِرٍ عَلِيمٍ * وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۝ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فغلبوا هنالك وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ۝ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ۝ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُمُهُ فِي الْمَدِينَةِ لَتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ

عليهم (حكى هذا الكلام هنا عن الملائكة وفي الشعراء عن فرعون ، كأنه قاله هو وهم ، أو قاله هو ووافقوه عليه كعادة جلساء الملوك في اتباعهم لما يقول الملك (يريد أن يخرجكم من أرضكم) أى يخرجكم منها بالقتال أو بالحيل ، وقيل المراد إخراج بني إسرائيل وكانوا خدما لهم فتخرب الأرض بخروج الخدام والعمار منها (فإذا تأمرون) من قول الملائكة أو من قول فرعون وهو من معنى المؤامرة أى المشاورة أو من الأمر وهو ضد النهي (أرحه) من قرأه بالهمزة فهو من أرجأت الرجل إذا أخرته فعناه أخرهما حتى ننظر في أمرهما ، وقيل المراد بالإرجاء هنا السجن ، ومن قرأ بغير همز فتحتمل أن تكون بمعنى المهموز وسهلت الهمزة ، أو يكون بمعنى الرجاء أى أطمعه ، وأما ضم الهاء وكسرها فلفظان ، وأما إسكانها فلعله أجرى فيها الوصول مجرى الوقف (حاشرين) يعنى الشرطة أى جامعين للسحرة (وجاء السحرة فرعون) قيل هنا محذوف يدل عليه سياق الكلام وهو أنه بعث إلى السحرة (إن لنا لأجرا) من قرأه بهمزة تين فهو استفهام ومن قرأه بهمزة واحدة فيحتمل أن يكون خبراً أو استفهاماً حذف منه الهمزة ، والأجر هنا : الأجرة ، طلبوها من فرعون إن غلبوا موسى ، فأنعهم لهم فرعون بها وزادهم التقريب منه والجاه عنده (وإنكم لمن المقربين) عطف على معنى نعم كأنه قال نعطيكم أجراً وتقربكم ، واختلف في عدد السحرة إختلافاً متبايناً من سبعين رجلاً إلى سبعين ألفاً وكل ذلك لأصل له في صحة النقل (إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين) خيروا موسى بين أن يبدأ بالإلقاء أو يبدؤا هم بالإلقاء سحرهم فأمرهم أن يلقوا ، وانظر كيف عبروا عن إلقاء موسى بالفعل ، وعن إلقاء أنفسهم بالجملة الإسمية ، إشارة إلى أنهم أهل الإلقاء المتمكنون فيه (واسترهبوهم) أى خوفوهم بما أظهروا لهم من أعمال السحر (أن ألق عصاك) لما ألقاها صارت ثعباناً عظيماً على قدر الحبل وقيل إنه طال حتى جاوز الفيل (تلقف) أى تبتلع (ما يافكون) أى ماصوروا من إفكهم وكذبهم وروى أن الثعبان أكل كل ملء الوادى من حبالهم وعصيهم ودم موسى يده إليه فصار عصا كما كان ، فعلم السحرة أن ذلك ليس من السحر ، وليس في قدرة البشر ، فأمنوا بالله وبموسى عليه السلام (لا قطعن أيديكم) الآية :

وَأَرْجَلُكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضْلِبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَمَا نَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنَّا آمَنَّا
بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ * وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَىٰ
وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ *
قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ *
قَالُوا أَوَذِينَا مَن قَبْلُ أَن تَأْتِيَنَا وَمَن بَعْدَ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا
جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ إِلَّا إِمَّا يَنْظُرُهُمْ غَدَاةً
وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا

وعيد من فرعون للسحرة وليس في القرآن أنه أنفذ ذلك لكن روى أنه أنفذه عن ابن عباس وغيره ،
وقد ذكر معنى من خلاف في العقود (قالوا إنا إلى ربنا منقلبون) أى لا نبالي بالموت لانقلابنا إلى ربنا
(وما تنقم منا إلا أن آمنّا) أى ما تعيب منا إلا إيماننا (ليفسدوا في الأرض) أى يخرجوا ملك فرعون
وقومه ويخالفوا دينه (ويذرك) معطوف على ليفسدوا ، أو منصوب بإضمار أن بعد الواو (وآلهتك) قيل
إن فرعون كان قد جعل للناس أصناما يعبدونها وجعل نفسه الإله الأكبر فلذلك قال أنا ربكم الأعلى ، فأهلك
على هذا هي تلك لأصنام ، وقرأ على بن أبى طالب وابن مسعود وابن عباس وإلهتك : أى عبادتك والتذال
لك (إن الأرض لله) تعليل للصبر ولذا أمرهم به يعنى أرض الدنيا هنا وفي قوله ويستخلفكم في الأرض ،
وقيل يعنى أرض فرعون فأشار لهم موسى أولا بالنصر في قوله يورثها من يشاء من عباده ، ثم صرح في
قوله عسى ربكم الآية (فينظر كيف تعملون) حض على الاستقامة والطاعة بالسنين أى الجذب والقحط
(فإذا جاءتهم الحسنة) الآية : إذا جاءهم الخصب والرشاء قالوا هذه لنا وبسعدنا ، ونحن مستحقون له وإذا
جاءهم الجذب والشدة تطيروا بموسى : أى قالوا هذه بشؤمه ، فإن قيل لم قال إذا جاءتهم الحسنة وإذا
الحسنة وإن تصيبهم سيئة فإن وتنكير السيئة ، فالجواب أن وقوع الحسنة كثير ، والسيئة وقوعها نادر
فعرف الكثير الوقوع باللام التى للعهد ، وذكره إذا لأنها تقتضى التحقيق وذكر السيئة يان لأنها تقتضى
الشك ونكرها للتعليل (ألا إنما طائرهم عند الله) أى إنما حظهم ونصيبهم الذى قدر لهم من الخير والشر عند
الله ، وهو مأخوذ من زجر الطير ثم سمي به ما يصيب الإنسان ومقصود الآية الرد عليهم فيما نسبوا إلى موسى
من الشؤم . مهما هى ما الشرطية ضمت إليها ما الزائدة نحو أينما ، ثم قلبت الألف هاء ، وقيل هى اسم بسيط
غير مركب . والضمير فى به يعود على ههما ، وإنما قالوا من آية على تسمية موسى لها آية ، وأعلى وجه التهم
(فأرسلنا عليهم الطوفان) روى أنه كان مطرا شديدا دائما مع فيض النيل حتى هدم بيوتهم ، وكادوا يهلكون
وامتنعوا من الزراعة وقيل هو الطاعون (والجراد) هو المعروف أكل زروعهم وثمارهم حتى أكل ثيابهم

عَلَيْهِمُ الطُّوفَانُ وَالْجَرَادُ وَالْقُمَّلُ وَالضَّفَادِعُ وَالْدَّمَاءُ آيَاتٌ مُفَصَّلَتْ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ . وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى آخِلٍ هُمْ يَبْلُغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُشُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِآيَتِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ . وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغَارِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ . وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْبَاطٌ مِمَّا خَلَقَ وَبَطُلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَإِذْ أَنْجَيْنَاكَ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَ كُفٍّ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُفٍّ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَمَتَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ

وأبوابهم وسقف بيوتهم (والقمل) قمل هي صغار الجراد ، وقيل البراغيث ، وقيل السوس ، وقرئ القمل بفتح القاف والتخفيف ، فهي على هذا القمل المعروف ، وكانت تتعلق بلحومهم وشعرهم (والضفادع) هي المعروفة كثرت عندهم حتى امتلأت بها فرشهم وأوانيهم وإذا نكلم أحدهم وثبت الضفدع إلى فيه (والدم) صارت مياههم دما فكان يستسقى من البئر القبطي والإسرائيلي في إناء واحد فيخرج مابلى القبطي دما ، ومابلى الإسرائيلي ماء (ولما وقع عليهم الرجز) أي العذاب وهي الأشياء المتقدمة وكانوا مهما نزل بهم أمر منها عاهدوا موسى على أن يؤمنوا به إن كشفه عنهم ، فلما كشفه عنهم نقضوا العهد وتمادوا على كفرهم (بما عهد عندك) بدعائك إليه ووسائلك ، والبلاء تحتمل أن تكون للقسم وجوابه لنؤمن لك أو يتعلق بادع لنا أي توسل إليه بما عهد عندك (في اليم) البحر حيث وقع (القوم الذين كانوا يستضعفون) هم بنو إسرائيل (مشارك الأرض ومغاربها) الشام ومصر (باركنا فيها) أي بالخصب وكثرة الأرزاق (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل) أي تمت لهم واستقرت ، والكلمة هنا ما قضى لهم في الأزل ، وقيل هي قوله : ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض (وما كانوا يعرشون) أي يبنون ، وقيل هي الكروم وشبهها فهو على الأول من العرش وعلى الثاني من العريش (قالوا يا موسى اجعل لنا إلها) أي اجعل لنا صنما نعبده كما يعبد هؤلاء أصنامهم ولما تم خبر موسى مع فرعون ابتداء خبره مع بني إسرائيل من هنا إلى قوله وإذا نتقنا الجبل (متبر) من التبار وهو الهلاك (وهو فضلكم على العالمين) وما بعده مذكور في البقرة (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) روى أن الثلاثين هي شهر ذى القعدة والعشر بعدها هي العشر الأول من ذى الحجة ، وذلك تفصيل الأربعين المذكورة في البقرة (مقات ربه) أي ما وقت له من الوقت لمناجاته

أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ * وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعْقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ * قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي أُصْطَفِيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي خُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ۝ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ

في الطور (اخلفني) أى كن خليفتي على بني إسرائيل مدة مغيبى (قال رب أرنى) لما سمع موسى كلام الله طمع في رؤيته ، فسألها كما قال الشاعر :

وأفرح ما يكون الشوق يوما • إذا دنت الديار من الديار

واستدلت الأشعرية بذلك على أن رؤية الله جائزة عقلا ، وأنها لو كانت محالاً لم يسألها موسى ، فإن الأنبياء عليهم السلام يعلمون ما يجوز على الله وما يستحيل ، وتأول الزمخشري طلب موسى الرؤية بوجهين : أحدهما أنه إنما سأل ذلك تبكيته لمن خرج معه من بني إسرائيل الذين طلبوا الرؤية فقالوا أرنا الله جهرة ؛ فقال موسى ذلك ليسمعوا الجواب بالمنع فيتأولوا ، والآخر أن معنى أرنى أنظر إليك : عرفنى نفسك تعريفا واضحا جليا وكلا الوجهين بعيد ، والثانى أبعد وأضعف ، فإنه لو لم يكن المراد الرؤية لم يقل له انظر إلى الجبل الآية (قال لن ترانى) قال مجاهد وغيره إن الله قال لموسى لن ترانى ، لأنك لا تطبق ذلك ولكن سأجعل للجبل الذى هو أقوى منك وأشد ، فإن استقر وأطاق الصبر لهيبتى أمكن أن ترانى أنت ، وإن لم يطق الجبل فأحرى ألا تطبق أنت ، فعلى هذا إنما جعل الله الجبل مثالا لموسى ، وقال قوم المعنى سأجعل لك على الجبل وهذا ضعيف يبطله قوله فلما تجلّى ربه للجبل فإذا تقرر هذا ، فقوله تعالى لن ترانى نفي الرؤية ، وليس فيه دليل على أنها محال ، فإنه إنما جعل علة النفي عدم إطاعة موسى الرؤية لاستحالتها ، ولو كانت الرؤية مستحيلة ، لكان في الجواب زجر وإغلاظ كما قال الله لنوح فلا تسئلن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين ، فهذا المنع من رؤية الله إنما هو في الدنيا لضعف البنية البشرية عن ذلك ، وأما في الآخرة ، فقد صرح بوقوع الرؤية كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا ينكرها إلا مبتدع ، وبين أهل السنة والمعتزلة في مسألة الرؤية تنازع طويل ، وفي هذه القصة قصص كثيرة تركتها لعدم صحتها ، ولما فيه من الأقوال الفاسدة (جعله دكا) أى مدكوكا فهو مصدر بمعنى مفعول لقولك ضربت الأمير ، والدك والدق : أخوان ، وهو التفتت ، وقرئ دكاه بالمد والهمز أى أرضا دكا وقيل ذهب أعلى الجبل وبقي أكثره ، وقيل تفتت حتى صار غبارا ، وقيل ساخ في الأرض وأفضى إلى البحر (وخر موسى صعقا) أى مغشيا عليه (تبنت إليك) معناه تبنت من سؤال الرؤية في الدنيا وأنا لأطبقها (وأنا أول المؤمنين) أى أزل قومه أو أهل زمانه ، أو على وجه المبالغة في السابق إلى الإيمان (اصطفتيك على الناس برسالاتى وبكلامى) هو عموم يراد به الخصوص ، فإن جميع الرسل قد شاركوه في الرسالة ، واختلف هل كلم الله غيره من الرسل أم لا ، والصحيح أنه كلم نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ليلة الإسراء (خذ ما آتيتك) تأديبا أى اقنع بما أعطيتك من رسالتى وكلامى ولا تطلب غير ذلك (وكتبنا له في الألواح) أى ألواح التوراة وكانت سبعة ، وقيل عشرة

من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ساوركم دار الفاسقين .
 سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا
 سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها
 غفلين . والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون * واتخذ
 قوم موسى من بعده من حليهم مجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا
 ظالمين * ولما سقط في أيديهم ورواؤا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحننا ربنا ويغفر لنا لنكونن من
 الخسرين . ولما رجع موسى إلى قومه غضبن أسفاً قال بئسما خلقتُموني من بعدى اعجلتم أمر ربكم

وقيل اثنان وقيل كانت من زمردة وقيل من ياقوت ، وقيل من خشب (من كل شيء) عموم يراد به الخصوص
 فيما يحتاجون إليه في دينهم ، وكذلك تفصيلاً لكل شيء ، وموضع كل شيء نصب على أنه مفعول كتبنا ، وموعظة
 بدل منه (فخذها بقوة) أى بجدة وعزم ، والضمير للنوراة (يأخذوا بأحسنها) أى فيها ما هو حسن وأحسن
 منه كالقصاص مع العفو ، وكذلك سائر المباحات مع المندوبات (ساورك دار الفاسقين) أى دار فرعون وقومه
 وهو مصر ، ومعنى أريك كيف أقفرت منهم لما هلكوا ، وقيل منازل عاد وثمود ومن هلك من الأمم المتقدمة
 ليعتبروا بها ، وقيل جهنم ، وقرأ ابن عباس ساورك بالثاء المثلثة من الوراثة ، وهى على هذا مصدر لقوله
 وأورثناها بنى إسرائيل (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض) الآيات : يحتمل هنا أن يراد بها
 القرآن وغيره من الكتب أو العلامات والبراهين ، والصرف يراد به حذم عن فهمها وعن الإيمان بها
 عقوبة لهم على تكبرهم ، وقيل صرف منهم من إبطالها (ولقاء الآخرة) يجوز أن يكون من إضافة المصدر
 إلى المفعول به أى ولقاؤهم الآخرة . أو من إضافة المصدر إلى الظرف (واتخذ قوم موسى) هم بنو إسرائيل
 (من بعده) أى من بعد غيبته في الطور (من حليهم) بضم الحاء والتشديد جمع حل نحو نسي ونسي ، وقرئ
 بكسر الحاء الإتياع وقرئ بفتح الحاء وإسكان اللام ، والحلى هو اسم ما يزين به من الذهب والفضة (جسداً)
 أى جسماً دون روح ، واتصابه على البدل (له خوار) الخوار هو صوت البقر ، وكان السامرى قد قبض
 قبضة من تراب أثر فرس جبريل يوم قطع البحر ، فقفذه في العجل فصار له خوار ، وقيل كان إبليس يدخل
 في جوف العجل فيصيح فيه فيسمع له خوار (ألم يروا أنه لا يكلمهم) رد عليهم ، وإبطال لمذهبهم الفاسد
 في عبادته (اتخذوه) أى اتخذوه إلهاً ، فحذف المفعول الثانى للعلم به ، وكذلك حذف من قوله واتخذ قوم موسى
 (سقط في أيديهم) أى ندموا يقال سقط في يد فلان إذا عجز عما يريد أو وقع فيما يكره (أسفاً) شديد
 الحزن على ما فعلوه ، وقيل شديد الغضب كقوله فلما آسفونا (بئسما خلقتُموني) أى قتم بقسمى ، وفاعل
 بئس مضمرة يفسره ما واسم المذموم مخذوف ، والمخاطب بذلك إما القوم الذين عبدوا العجل مع السامرى حيث
 عبدوا غير الله في غيبة موسى عنهم ، أو رؤساء بنى إسرائيل كهارون عليه السلام حيث لم يكفوا الذين

وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ الْقَوْمِ اسْتَزَعِفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْسِدِينَ ۝ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا بِرَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ۝ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِلَيْنَا لَأَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ ۝ مَنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ

عبدوا العجل (أعجبتهم أمر ربكم) معناه أعجبتهم عن أمر ربكم ، وهو انتظار موسى حتى يرجع من الطور ، فإنهم لما رأوا أن الأمر قد تم ظنوا أن موسى عليه السلام قد مات فعبدوا العجل (وألقى الألواح) طرحها لما لحقه من الدهش والاضجر غضبا لله من عبادة العجل (وأخذ برأس أخيه) أى شعر رأسه (يجرّه إليه) لأنه ظن أنه فرط في كف الذين عبدوا العجل (ابن أم) كان هارون شقيق موسى ، وإيماءا بآفة ، لأنه ادعى إلى العطف والحنو ، وقرئ ابن أم بالكسر على الإضافة إلى ياء المتكلم ، وحذفت الياء بالفتح تشبيها بخمسة عشر جملة الاسماء واحدا فبنى (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أى لا تظر أنى منهم أولاتجد على في نفسك ماتجد عليهم يعنى أصحاب العجل (غضب من ربهم وذلة) أى غضب في الآخرة وذلة في الدنيا (ولما سككت عن موسى الغضب) أى سكت ، وكذلك قرأ بعضهم ، وقال الزمخشري قوله سكت مثل كأن الغضب كان يقول له ألق الألواح وجز برأس أخيك ، ثم سكت عن ذلك (وفى نسختها) أى فيما ينسخ منها ، والنسخة فعلة بمعنى مفعول (لربهم يرهبون) أى يخافون ، ودخلت اللام لتقدم المفعول كقوله للرؤيا تعبرون ، وقال المبرد تتعلق بمصدر تقديره رهبتهم لربهم (واختار موسى قومه) أى من قومه (سبعين رجلا) حملهم معه إلى الطور يسمعون كلام الله لموسى فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الرجفة عقابا لهم على قولهم ، وقيل إنما أخذتهم الرجفة لعبادتهم العجل أو لسكوتهم على عبادته ، والأول أرجح لقوله فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، ويحتمل أن تكون رجفة موت أو إغماء ، والأول أظهر لقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم (لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي) يحتمل أن تكون لو هنا للتمنى أى تمنوا أن يكون هو وهم قد ماتوا قبل ذلك ، لأنه خاف من تشغييب بنى إسرائيل عليه إن رجع إليهم دون هؤلاء السبعين ، ويحتمل أن يكون قال ذلك على وجه التضرع والاستسلام لأمر الله كأنه قال : لو شئت أن تهلكنا قبل ذلك لفعلت فإننا عبيدك وتحت قهرك ، وأنت تفعل ما تشاء ، ويحتمل أن يكون قالها على وجه التضرع والرغبة كأنه قال لو شئت أن تهلكنا قبل اليوم لفعلت ، ولكنك عافيتنا وأبقيتنا فافعل معنا الآن ما وعدتنا وأحى هؤلاء القوم الذين أخذتهم الرجفة (أهلكنا بما فعل السفهاء منا) أى أهلكنا وتهلك سائر بنى إسرائيل بما فعل السفهاء الذين

الْعَافِرِينَ * وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ

طلبوا الرؤية والذين عبدوا العجل ، فعنى هذا إدلاء بحجته ، وتبرؤ من فعل السفهاء ، ورغبة إلى الله أن لا يعجز الجميع بالعقوبة (إن هي إلا فتنة) أى الأمور كلها بيدك (تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) ومعنى هذا : اعتذار عن فعل السفهاء ، فإنه كان بقضاء الله ومشيئته (إنا ههنا إليك) أى تبنا ، وهذا الكلام الذى قاله موسى عليه السلام إنما هو استعطاف ورغبة إلى الله وتضرع إليه ، ولا يقتضى شيئاً مما توهم الجهال فيه من الجفاء فى قوله : أنه لكاننا بما فعل السفهاء منا لأننا قد بينا أنه إنما قال ذلك استعطافاً لله وبراءة من فعل السفهاء (قال عذابي أصيب به من أشاء) قيل الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة ، والصحيح أنه عموم يندرجون فيه مع غيرهم ، وقرئ من أساء . بالسين وفتح الهمزة من الإساءة ، وأنكرها بعض المفسرين وقال إنها تصحيف (ورحمتي وسعت كل شيء) يحتمل أن يريد رحمته فى الدنيا فيكون خصوصاً فى الرحمة وعموماً فى كل شيء لأن المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصى : تنالهم رحمة الله ونعمته فى الدنيا ، ويحتمل أن يريد رحمة الآخرة فيكون خصوصاً فى كل شيء ، لأن الرحمة فى الآخرة مختصة بالمؤمنين ، ويحتمل أن يريد جنس الرحمة على الإطلاق ، فيكون عمومها فى الرحمة ، وفى كل شيء (فسأكتبها للذين يتقون) إن كانت الرحمة المذكورة رحمة الآخرة فهي بلا شك مختصة بهؤلاء الذين كتبها الله لهم وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن كانت رحمة الدنيا ، فهي أيضاً مختصة بهم لأن الله نصرهم على جميع الأمم ، وأعلى دينهم على جميع الأديان ، ومكن لهم فى الأرض ما لم يمكن لغيرهم وإن كانت على الإطلاق : فقوله سأكتبها تخصبص الإطلاق (والذين هم بآياتنا يؤمنون) أى يؤمنون بجميع الكتب والأنبياء ، وليس ذلك لغير هذه الأمة (الذين يتبعون الرسول) هذا الوصف خصص أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، قال بعضهم : لما قال الله ورحمتي وسعت كل شيء طمع فيها كل أحد حتى إبليس ، فلما قال فسأكتبها للذين يتقون فيئس إبليس لعنه الله ، وبقيت اليهود والنصارى (النبي الأمي) أى الذى لا يقرأ ولا يكتب وذلك من أعظم دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم كأنه أتى بالعلوم الجملة من غير قراءة ولا كتابة ، ولذلك قال تعالى : وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذ لا تارتاب المبطلون ، قال بعضهم : الأمي منسوب إلى الأم وقيل إلى الأمة (الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل) ضمير الفاعل فى يجدونه لبنى إسرائيل ، وكذلك الضمير فى عندهم ، ومعنى يجدونه يجدون نعمته وصفته وانذكر هنا ماورد فى التوراة والإنجيل وأخبار المتقدمين من ذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

فمن ذلك ماورد فى البخارى وغيره أن فى التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأمتين أنت عبدى ورسولى أسميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق لا تجزى بالسيئة السيئة ، ولكن تعفو وترضف ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة الدجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، فيفتح به عيوننا عمياً ، وآذاننا صماً ، وقلوبنا غلغلاً

ومن ذلك ما في التوراة مما أجمع عليه أهل الكتاب وهو باق بأيديهم إلى الآن إن الملك نزل على إبراهيم فقال له : في هذا العام يولد لك غلام اسمه إسحاق ، فقال إبراهيم يارب ليت إسماعيل يعيش يخدمك فقال الله لإبراهيم ذلك لك قد استجيب لك في إسماعيل وأنا أباركه وأمنيه وأكبره وأعظمه بماذا ماذ ، وتفسير هذه الحروف محمد

ومن ذلك في التوراة إن الرب تعالى جاء في طور سيناء ، وطلع من ساعد وظهر من جبال فاران ، ويعني بطور سيناء موضع مناجاة موسى عليه السلام ، وساعد موضع عيسى وفاران هي مكة موضع مولد نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ومبعثه ، ومعنى ماذ ذكر من مجئ الله وطلوعه وظهوره هو ظهور دينه على يد الأنبياء الثلاثة المنسويين لتلك المواضع ، وتفسير ذلك ما في كتاب شعيا خطابا لمكة : قومي فأزهرى مصباحك فقد دنا وقتك وكرامة الله طالعة عليك ، فقد تخلل الأرض الظلام ، وعلا على الأمم المصاب ، والرب يشرق عليك إشراقا ، ويظهر كرامته عليك ، تسير الأمم إلى نورك ، والملوك إلى ضوه طلوعك ، ارفعى بصرك إلى ماحواك ، وتأهلى إليهم مستجمعون عندك ، ونحج إليك عساكر الأمم وفي بعض كتبهم لقد تقطعت السماء من بهاء محمد المحمود ، وامتلات الأرض من حمده ، لأنه ظهر بخلص أمته

ومن ذلك في التوراة أن هاجر أم إسماعيل لما غضبت عليها سارة تراه لها ملك فقال لها يا هاجر أين تريدن ومن أين أقبلت فقالت أهرب من سيدتي سارة ، فقال لها ارجعي إلى سارة وستحبلين وتلدن ولدا اسمه إسماعيل وهو يكون عين الناس ، وتكون يده فوق الجميع ، وتكون يد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع ، ووجه دلالة هذا الكلام على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أن هذا الذي وعداها به الملك من أن يد ولدها فوق الجميع وأن يد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع إنما ظهرت بمبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم وظهور دينه وعلو كلمته ، ولم يكن ذلك لإسماعيل ولا غيره قبل محمد صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك أيضا في التوراة أن الرب يقيم لهم نبيا من إخوانهم ، وأي رجل لم يسمع ذلك الكلام الذي يؤديه ذلك النبي عن الله فينتقم الله منه ، ودلالة هذا الكلام ظاهرة بأن أولاد إسماعيل هم إخوة أولاد إسحاق ، وقد انتقم الله من اليهود الذين لم يسمعوا كلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم كبنى قريظة وبني قينقاع وغيرهم ومن ذلك في التوراة : إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام وقد أجبت دعاءك في إسماعيل ، وباركت عليه وسيلد اثني عشر عظيما ، وأجعله لامة عظيمة

ومن ذلك في الإنجيل أن المسيح قال للحواريين إني ذاهب عنكم وسيأتيكم الفارقليط الذي لا يتكلم من قبل نفسه إنما يقول كما يقال له وبهذا وصف الله سبحانه نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم في قوله وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى ، وتفسير الفارقليط أنه مشتق من الحمد واسم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم محمد وأحمد وقيل معنى الفارقليط الشافع المشفع

ومن ذلك في التوراة : مولده بمكة أو مسكنه بطيبة وأمنته الحمادون ، ويان ذلك أن أمته يقرؤون الحمد لله في صلاتهم مرارا كثيرة في كل يوم وليلة ، وعن شهر بن حوشب مثل ذلك في إسلام كعب الأحبار ، وهو من اليمن من حمير أن كعبا أخبره بأمره وكيف كان ذلك ، وقيل كان أبوه من مؤمنى أهل التوراة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان من عظمائهم وخيارهم ، قال كعب وكان من أعلم الناس بما

أنزل الله على موسى من التوراة ، وبكتب الأنبياء ، ولم يكن بدخر عنى شيئا مما كان يعلم ، فلما حضرته الوفاة دعانى ، فقال يابنى : قد علمت أنى لم أكن أدخر عنك شيئا مما كنت أعلم ، إلا أنى حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبى يبعث ، وقد أظل زمانه ، فكرهت أن أخبرك بذلك فلا آمن عليك بعد وفاتى أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتبعه ؛ وقد قطعتهما من كتابك وجعلتهما فى هذه الكوة التى ترى وطينت عليهما ، فلا تعرض لهما ولا تنظرهما زمانك هذا وأقرهما فى موضعهما حتى يخرج ذلك النبى ، فإذا خرج فاتبعه وانظر فيهما ، فإن الله يزيدك بهذا خيرا ، فلما مات والدى لم يكن شىء أحب إلى من أن ينقضى المأثم حتى أنظر ما فى الوراقين فلما انقضى المأثم فتحت الكوة ثم استخرجت الوراقين فإذا فيهما محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، لانبى بعده ، مولده بمكة ومهاجرة بطيبة ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسئنة السيئة ، ولكن يجزى بالسئنة الحسنة ويعفو ويغفر ويصفح أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل شرف وعلى كل حال وتندلل بالتكبير السننهم ، وينصر الله نبيهم على كل من ناوأه ، يغسلون فروجهم بالماء ويأترزون على أوساعهم وأناجيلهم فى صدورهم ويأكلون قربانهم فى بطونهم ويؤجرون عليها وتراحمهم بينهم تراحم نبى الأم والأب ، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم ، وهم السابقون المقربون والشافعون المشفع لهم ، فلما قرأت هذا قلت فى نفسى : والله ما علمنى شيئا خيرا لى من هذا فمكثت ماشاء الله حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم وبنى وبينه بلاد بعيدة منقطعة لا أقدر على إتيانه ، وبلغنى أنه خرج فى مكة فهو يظهر مرة ويستخفى مرة ، فقلت هو هذا وتحوفت ما كان والذى حذرنى وخوفنى من ذكر الكذابين ، وجعلت أحب أن أتبين وأثبت فلم أزل بذلك حتى بلغنى أنه أتى المدينة فقلت فى نفسى إنى لأرجو أن يكون إياه وجعلت ألتس السيل اليه فلم يقدر لى حتى بلغنى أنه توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت فى نفسى لعله لم يكن الذى كنت أظن ، ثم بلغنى أن خليفة قام مقامه ، ثم لم ألبث إلا قليلا حتى جاءتنا جنوده فقلت فى نفسى لا أدخل فى هذا الدين حتى أعلم أهم الذين كنت أرجو وأنتظر وأنظر كيف سيرتهم وأعمالهم ، وإلى ما تكون عاقبتهم فلم أزل أدفع ذلك وأؤخره لأتبين وأثبت حتى قدم علينا عمر بن الخطاب ، فلما رأيت صلاة المسلمين وصيامهم وبرهم ووفاءهم بالعهود وما صنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الذين كنت أنتظر فحدثت نفسى بالدخول فى دين الإسلام ، فوالله لئن ذات ليلة فوق سطح إذا برجل من المسلمين يتلو كتاب الله حتى أتى على هذه الآية يا أيها الذين آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فتردها على أدبارها أو نلغنها كما لغنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ، فلما سمعت هذه الآية خشيت الله ألا أصبح حتى يحول وجهى فى قفاى ، فما كان شىء أحب إلى من الصباح ، فغدوت على عمر فأسلمت حين أصبحت ، وقال كعب لعمر عند انصرافهم إلى الشام يا أمير المؤمنين إنه مكتوب فى كتاب الله إن هذه البلاد التى كان فيها بنو إسرائيل ، وكانوا أهلها مفتوحة على يد رجل من الصالحين رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين سره مثل علانيته وعلانيته مثل سره ، وقوله لا يخالف فعله ، والقريب والبعيد عنده فى الحق سواء وأتباعه رهبان بالليل وأسد بالنهار ، متراحمون متواصلون متبادلون ، فقال له عمر : ثكلتك أمك ، أحق ما تقول ؟ قال إى والذى أنزل التوراة على موسى والذى يسمع ما تقول إنه لحق ، فقال عمر الحمد لله الذى أعزنا وشرفنا وأكرمنا ورحمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم برحمته التى وسعت كل شىء ، ومن ذلك كتاب فروة بن عمر الجذامى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من ملوك العرب

بالشام ، فكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد رسول الله من فروة بن عمر إني مقتر بالإسلام مصدق ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأنه الذي بشره عيسى ابن مريم عليه السلام ، فأخذه هرقل لما بلغه إسلامه وسجنه فقال والله لا أفارق دين محمد أبداً فإنك تعرف أنه النبي الذي بشره عيسى ابن مريم ، ولكنك حرصت على مالك وأحببت بقاءه فقال قيصر صدق والإنجيل ، يشهد لهذا ما خرج به البخاري ومسلم من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل وسؤال هرقل عن أحواله وأخلاقه صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبر بها علم أنه رسول الله ، وقال إنه يملك موضع قدمي ولو خلاصت إليه لغسلت قدميه ، ومن حديث زيد بن أسلم عن أبيه وهو عندنا بالإسناد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج زمان الجاهلية مع ناس من قريش في التجارة إلى الشام ، قال إني لفي سوق من أسواقها إذا أنا بيطريق قد قبض على عنقي فذهبت أنارعه فقيل لي لا تفعل فإنه لا نصيف لك منه فأدخلني كنيسة فإذا تراب عظيم ملق لجأني بزئيل ومجرة فقال لي أنقل ما ههنا فجعلت أنظر كيف أصنع ، فلما كان من الهاجرة وافاني وعليه ثوب أرى سائر جسده منه ، فقال أئتلك على ، أرى ما نقلت شيئاً ، ثم جمع يديه فضرب بهما دماغى فقلت وائكل أملك يا عمر أبلغت ما أرى ثم وثبت إلى المجرة فضربت بها هامته فنشرت دماغه ثم واريته في التراب وخرجت على وجهي لا أدري أين أسير فسرت بقية يومى ولبت من العد إلى الهاجرة فاتميت إلى دير فاستظلت بفنائها فخرج إلى رجل منه فقال لي يا عبداً لله ما يقعدك هنا ، فقلت أضللت أصحابي ، فقال لي ما أنت على طريق وإنك لتتظر بعيني خائف ، فأدخل فأصب من الطعام واسترح فدخلت فأتاني بطعام وشراب وأطعمني ، ثم صعد في النظر وصوبه ، فقال قد علم والله أهل الكتاب أنه ما على الأرض أعلم بالكتاب مني ، وإني لأرى صفتك الصفة التي تخرجنا من هذا الدير وتغلبنا عليه ، فقلت يا هذا لقد ذهبت بي في غير مذهب ، فقال لي ما اسمك فقلت عمر ابن الخطاب ، فقال أنت والله صاحبنا فاكاتب لي على ديرى هذا وما فيه ، فقلت يا هذا إنك قد صنعت إلى صنعة فلا تذكرها ، فقال إنما هو كتاب في رق ، فإن كنت صاحبنا فذلك ، وإلا لم يضرك شيء فكتب له على ديره وما فيه ، فأتاني بذياب ودرهم فدفعها إلي ثم أوكف أتاناً فقال لي أتراها فقلت نعم ، قال سر عليها فانك لا تمر بقوم إلا سقوها وعافوها وأضافوك فإذا بلغت مأمنك فاضرب وجهها مدبرة فانهم يفعلون بها كذلك حتى ترجع إلي قال فركنها فكان كما قال حتى لحقت بأصحابي وهم متوجهون إلى الحجاز ، فضربت بها مدبرة وانطلقت معهم ، فلما وافى عمر الشام في زمان خلافته جاءه ذلك الراهب بالكتاب وهو صاحب دير العرس فلما رآه عرفه ، فقال قد جاء مالا مذهب لعمر عنه ، ثم أقبل على أصحابه فحدثهم بحديثه فلما فرغ منه أقبل على الراهب فقال هل عندكم من نفع للمسلمين ، قال نعم يا أمير المؤمنين ، قال إن أضفتم المسلمين ومرضتموهم وأرشدتموهم فعلنا ذلك قال نعم يا أمير المؤمنين فوفى له عمر رضى الله عنه ورحمه . وعن سيف يرفعه إلى سالم بن عبد الله قال : لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق فقال السلام عليك يا فاروق ، أنت صاحب إيلياء ؛ والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء .

ومن ذلك أن عمرو بن العاصى قدم المدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أرسله إلى عمان واليا عليها فجاءه يوم ما يهودى من يهود عمان فقال له أنشدك بالله ، من أرسلك إلينا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال اليهودى والله إنك لتعلم أنه

عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ
فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * قُلْ يَٰٓأَيُّهَا
النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۚ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهُودُونَ بِالْحَقِّ
وَبِهِ يَعْبُدُونَ * وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ ۖ أَنِ اضْرِبْ

رسول الله، قال عمرو اللهم نعم، فقال اليهودي لئن كان حقا ما تقول لقد مات اليوم فلما سمع عمرو ذلك جمع
أصحابه وكتب ذلك اليوم الذي قال له اليهودي أن النبي صلى الله عليه وسلم مات فيه. ثم خرج فأخبر بموت
النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الطريق ووجده قد مات في ذلك اليوم صلى الله تعالى عليه وسلم وبارك وشرف
وكرم (ومن ذلك أن وفد غسان قـموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقبهم أبو بكر الصديق فقال لهم من
أنتم؟ قالوا رهط من غسان قدمنا على محمد لنتسمع كلامه، فقال لهم أنزلوا حيث تنزل الوفود، ثم اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكلّموه، فقالوا وهل نقدر على كلامه، كما أردنا فتبسم أبو بكر، وقال إنه ليطوف بالأسواق
ويمشي وحده ولا شرطة معه ويرغب من يراه منه فقالوا لا بى بكر من أنت أيها الرجل، فقال أنا أبو بكر بن
أبي قحافة، فقالوا أنت تقوم بهذا الأمر بعده فقال أبو بكر الأمر إلى الله، فقال لهم كيف تتحدعون عن الإسلام
وقد أخبركم أهل الكتاب بصفته، وأنه آخر الأنبياء ثم لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا (بأمرهم
بالمعروف وبنهاهم عن المنكر) يحتمل أن يكون هذا من وصف النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة، فتكون
الجملة في موضع الحال من ضمير المفعول في يحدونه، أو تفسير لما كتب من ذكره أو يكون استئناف وصف
من الله تعالى غير مذكور في التوراة والإنجيل (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) مذهب مالك أن
الطيبات هي الحلال، وأن الخبائث هي الحرام، ومذهب الشافعي أن الطيبات هي المستلذات إلا ما حرّمه
الشرع منها كالخمر والخنزير، وأن الخبائث هي المستفترات: كالخنافس والعقارب وغيرها (ويضع عنهم
إصْرَهُمْ) وهو مثل لما كلفوا في شرعهم من المشقات كقتل النفس في التوبة؛ وقطع موضع النجاسة من
الثوب، وكذلك الأغلال عبارة عما منعت منه شريعتهم كتحريم الشحوم وتحريم العمل يوم السبت وشبه
ذلك (وعزروه) أى منعه بالنصر حتى لا يقوى عليه عدو (واتبعوا النور الذي أنزل معه) هو القرآن
أو الشرع كله، ومعنى معه مع بعثه ورسالته (إني رسول الله إليكم جميعا) تفسيره قوله صلى الله عليه وسلم
وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس كافة فأعراب جميعا حال من الضمير في إليكم (الذي له
ملك السموات والأرض) نعت لله أو منصوب على المدح بإضمار فعل أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمّر
(يؤمن بالله وكلماته) هي الكتب التي أنزلها الله عليه وعلى غيره من الأنبياء (ومن قوم موسى أمة) هم الذين ثبتوا حين
نزول غيرهم في عصر موسى أو الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم في عصره (وقطعناهم) أى فرقناهم (أسباطا)
السبط في بني إسرائيل كالقبيلة في العرب واتصابه على البدل من اثنتي عشرة لاعلى التمييز فإن تمييز اثنتي عشرة

لا يكون إلا مفردا ، وقال الزمخشري على التمييز ، لأن كل قبيلة أسباطا لا سبط (فانبجست) أى انفجرت إلا أن الانبجاس أخف من الانفجار وقال القزويني الانبجاس : أول الانفجار (وظللنا عليهم الغمام) وما بعده إلى قوله بما كانوا يظلمون مذكور في البقرة ﴿ تنبيه ﴾ وقع الاختلاف في اللفظ بين هذا الموضع من هذه السورة وبين سورة البقرة في قوله انفجرت وانبجست وقوله وإذ قلنا ادخلوا ، وإذ قيل لهم اسكنوا وقوله وكلوا بالواو وفكلكوا بالفاء ، فقال الزمخشري : لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هنالك تناقض ، وعلملها شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير في كتاب ملاك التأويل وصاحب الدرر بتعليلات منها قوية وضعيفة وفيها طول فتركناها لطولها (واسئلهم) أى أسأل اليهود على جهة التقرير والتوبيخ (عن القرية) قيل هى إيلياء ، وقيل هى طبرية ، وقيل مدين (حاضرة البحر) قرية منه أو على شاطئه (إذ يعدون فى السبت) أى يتجاوزون حد الله فيه ، وهو اصطيادهم يوم السبت ، وقد نهوا عنه وموضع إذ بدل من القرية والمراد أهلها وهو بدل اشتغال أو منصوب بكانت أو بحاضرة (إذ تأتيتهم حيثانهم يوم سبتهم شرعا) كانت الحيتان تخرج من البحر يوم السبت حتى تصل إلى بيوتهم ابتلاء لهم إذ كان صيدها عليهم حراما فى يوم السبت ، وتغيب عنهم فى سائر الأيام ، وسبتهم مصدر من قواك سبت اليهودى يسبت إذا عظم يوم السبت ، ومعنى شرعا ظاهرة قرية منهم يقال شرع منا فلان إذا دنا وإذ فى قوله إذ تأتيتهم منصوب يبعدون ، أو بدل من إذ يعدون (وإذا قالت أمة منهم لم تعدوا يوما) الآية : افترقت بنو إسرائيل ثلاث فرق : فرقة عصت يوم السبت بالصيد وفرقة نهت عن ذلك واعتزلت القوم وفرقة سكنت وانزلت ، فلم تنه ولم تعص ، وأن هذه الفرقة لما رأت مهاجرة الناهية وطغيان العاصية قالوا للفرقة الناهية : لم تعظون قوما يريد الله أن يهلكهم أو يعذبهم ، فقالت الناهية نهاتهم معذرة إلى الله ولعلهم يتقون ، فهلكت الفرقة العاصية ، ونجت الناهية ، واختلف فى الثالثة هل هلكت لسكوتها أو نجت لاعتزالها وتركها العصيان (بعذاب بئس) أى شديد ، وقرئ بالهمز وتركه ، وقرئ على وزن فاعيل وعلى وزن فاعل وكلها من معنى البؤس (فلبسوا عماما نهوا عنه) أى لما تكبروا عن ما نهوا عنه (قلنا لهم كونوا قردة

قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ . وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَامًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * نَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ هـ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ هـ وَإِذْ تَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ

خاسئين) ذكر في البقرة ، والمعنى أنهم عذبوا أولاً بعذاب شديد فعتوا بذلك فمسخوا قردة ، وقيل فلما عتوا تكرار لقوله فلما نسوا ، والعذاب البئيس هو المسخ (تأذن ربك) عزم ، وهو من الإيذان بمعنى الإعلام (ليبعثن عليهم) الآية أى يساط عليهم ، ومن ذلك أخذ الجزية ، وهوانهم في جميع البلاد (وقطعناهم في الأرض) أى فرقناهم في البلاد ، ففي كل بلدة فرقة منهم ، فليس لهم إقليم يملكونه (منهم الصالحون) هم من أسلم كعبد الله بن سلام أو من كان صالحاً من المتقدمين منهم (بالحسنات والسيئات) أى بالنعم والنقم (نخلف من بعدهم خلف) أى حدث بعدهم قوم سوء ، والخلف بسكون اللام ذم ، وبفتحها مدح ، والمراد من حدث من اليهود بعد المذكورين ، وقيل المراد النصارى (يأخذون عرض هذا الأدنى) أى عرض الدنيا (ويقولون سيغفر لنا) ذلك اغترار منهم وكذب (وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) الواو للحال يرجون المغفرة وهم يعودون إلى مثل فعلهم (ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق) إشارة إلى كتبهم في قولهم سيغفر لنا وإعراب ألا يقولوا عطف بيان على ميثاق الكتاب أو تفسير له أو تكون أن حرف عبارة وتفسير (والذين يمسكون بالكتاب) قرئ بالتشديد والتخفيف ؛ وهما بمعنى واحد ، وإعراب الذين عطف على الذين يتقون ، أو مبتدأ وخبره إنا لا نضيع أجر المصلحين ، وأقام ذكر المصلحين مقام الضمير ، لأن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب (وإذ تقنا الجبل فوقهم) أى اقتلعنا الجبل ورفعناه فوق بنى إسرائيل وقلنا لهم خذوا التوراة حين أبوا من أخذها ، وقد تقدم في البقرة تفسير الظلة وخذوا ما آتيناكم بقوة (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم) الآية : في معناها قولان : أحدهما أن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صلبه وهم مثل الذر ، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم ، فأقروا بذلك والتزموه ، روى هذا المعنى عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من طرق كثيرة وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم ، والثانى أن ذلك من باب التمثيل ، وأن أخذ الذرية عبارة عن إيجادهم في الدنيا وأما إشهادهم فمعناه أن الله نصب لبنى آدم الأدلة على ربوبيته فشهدت بها عقولهم فكأنه أشهدهم على أنفسهم ، وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلسان الحال بلى أنت ربنا ، والاول هو الصحيح لتواتر الأخبار به ، إلا أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها ، فلذلك عدل عنه من قال بالقول الآخر ، وإنما تطابقه بتأويل وذلك أن أخذ الذرية إنما كان من صلب آدم ، ولفظ الآية يقتضى أن أخذ الذرية من بنى آدم ، والجمع

بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ * وَكَذَلِكَ نَفْضُلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ

بينهما أنه ذكر بنى آدم في الآية والمراد آدم كقوله : ولقد خلقناكم ثم صورناكم : الآية ، وعلى تأويل لقد خلقنا أباكم آدم من صورته ، وقال الزمخشري : إن المراد بنى آدم أسلاف اليهود ، والمراد بذريتهم من كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي الصحيح المشهور أن المراد جمع بنى آدم حسبما ذكرناه (قالوا بلى شهدنا) قولهم بلى إقرار منهم بأن الله ربهم ، فإن تقديره أنت ربنا ، فإن بلى بعد التقرير تقتضى الإثبات ، بخلاف نعم فإنها إذا وردت بعد الاستفهام تقتضى الإيجاب وإذا وردت بعد التقرير تقتضى النفي ، ولذلك قال ابن عباس في هذه الآية لو قالوا نعم لكفروا ، وأما قولهم شهدنا : فمعناه شهدنا بربوبيتك فهو تحقيق لربوبية الله وأداء لشهادتهم بذلك عند الله ، وقيل إن شهدنا من قول الله والملائكة أى شهدنا على بنى آدم باعترافهم (أن تقولوا يوم القيامة) في موضع مفعول من أجله : أى فعلنا ذلك كراهية أن تقولوا ، فهو من قول الله لا من قولهم ، وقرئ بالناء على الخطاب لبنى آدم ، وبالياء على الإخبار عنهم (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) قال ابن مسعود : هو رجل من بنى إسرائيل بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مدين داعيا إلى الله فرشاه الملك وأعطاه الملك على أن يترك دين موسى ويتابع الملك على دينه ففعل ، وأضل الناس بذلك وقال ابن عباس هو رجل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء كان عنده اسم الله الأعظم ، فلما أراد موسى قتال الكنعانيين وهم الجبارون : سألوهم بلعم أن يدعو باسم الله الأعظم على موسى وعسكره فأبى فألحوا عليه حتى دعا عليه ألا يدخل المدينة ودعا عليه موسى فالآيات التي أعطىها على هذا القول : هي اسم الله الأعظم وعلى قول ابن مسعود هي ما علمه موسى من الشريعة ، وقيل كان عنده من صحف إبراهيم ، وقال عبد الله بن عمرو بن العاصي : هو أمية بن أبي الصلت ، وكان قد أتى علماء وحكمة وأراد أن يسلم قبل غزوة بدر ، ثم رجع عن ذلك ومات كافرا ، وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم ، فالآية على هذا ما كان عنده من العلم والانسلاخ عبارة عن البعد والانفصال منها كالانسلاخ من الثياب والجلد (ولو شئنا لرفعناه بها) أى لرفعنا منزلته بالآيات التي كانت عنده (ولكنه أخلد إلى الأرض) عبارة عن فعله لما سقطت به منزلته عند الله (فمثله كمثل الكلب) أى صفته كصفة الكلب ، وذلك غاية في الخسة والرداءة (إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) اللهث هو تنفس بسرعة وتحريك أعضاء الفم وخروج اللسان ، وأكثر ما يعتري ذلك الحيوانات مع الحر والتعب ، وهي حالة دائمة للكلب ، ومعنى إن تحمل عليه إن تفعل معه ما يشق عليه من طرد أو غيره أو تتركه دون أن تحمل عليه ، فهو يلهث على كل حال ، ووجه تشبيه ذلك الرجل به أنه إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال ، فضلالته على كل حال

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۖ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ
كَانُوا يَظْلُمُونَ ۚ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَا وَلِيَّكَ ۚ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۖ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ
الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ
كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۖ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ۚ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۚ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۚ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِن هُوَ

كما أن له الكلب على كل حال وقيل إن ذلك الرجل خرج لسانه على صدره فصار مثل الكلب في صورته
ولهذه حقيقة (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) أي صفة المكذبين كصفة الكلب في لثته وكهفة الرجل
المشبه به لأنهم إن أُنذروا لم يهتدوا، وإن تركوا لم يهتدوا، وشبههم بالرجل في أنهم رأوا الآيات والمعجزات
فلم تنفعهم، كما أن الرجل لم ينفعه ما كان عنده من الآيات (سواء مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم)
الآية: قدم هذا المفعول للاختصاص والحصر (كثيرا من الجن والإنس) هم الذين علم الله أنهم يدخلون
النار بكفرهم، فأخبر أنه خلقهم لذلك كما جاء في قوله هؤلاء للجنة ولأبالي، وهؤلاء للنار ولأبالي (لا يبصرون
بها) ليس المعنى نفى السمع والبصر جملة، وإنما المعنى نفىها عما ينفع في الدين (ولله الأسماء الحسنى) قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم: إن لله تسعة وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة. وسبب نزول الآية: أن أبا جهل
لعنه الله سمع بعض الصحابة يقرأ فيذكر الله مرة، والرحمن أخرى، فقال يزعم محمد أن الإله واحد وهما هو
يعبد آلهة كثيرة، فنزلت الآية مبينة أن تلك الأسماء الكثيرة هي لمسمى واحد، والحسنى مصدر وصف
به أو تانيث أحسن وحسن أسماء الله هي أنها صفة مدح وتعظيم وتحميد (فادعوه بها) أي سموه بأسمائه، وهذا
إباحة لإطلاق الأسماء على الله تعالى، فأما ما ورد منها في القرآن أو الحديث، فيجوز إطلاقه على الله إجماعا
وأما ما لم يرد وفيه مدح لا تتعلق به شبهة، فأجاز أبو بكر بن الطيب إطلاقه على الله ومنع ذلك أبو الحسن
الأشعري وغيره، ورأوا أن أسماء الله موقوفة على ما ورد في القرآن والحديث، وقد ورد في كتاب
الترمذي عدتها أعني تعيين التسعة والتسعين، واختلف المحدثون هل تلك الأسماء المحدودة فيه مرفوعة
إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو موقوفة على أبي هريرة، وإنما الذي ورد في الصحيح كونها
تسعة وتسعين من غير تعيين (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) قيل معنى ذروا اتركوهم لا تتحاوهم
ولا تتعرضوا لهم، فالآية على هذا منسوخة بالقتال، وقيل معنى ذروا الوعيد والتهديد كقوله: وذروني
والمكذبين، وهو الأظهر لما بعده وإلحادهم في أسماء الله: هو ما قال أبو جهل فنزلت الآية بسببه،
وقيل تسميته بما لا يليق، وقيل تسمية الأصنام باسمه كاشتقاقهم اللات من الله، والعزى من العزيز (ومن
خلقنا أمة) الآية روى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: هذه الآية لكم، وقد تقدم مثلها لقوم موسى
(سنستدرجهم) الاستدراج استفعال من الدرجة أي نسوقهم إلى الهلاك شيئا بعد شيء وهم لا يشعرون،

إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ * مَنْ يُضِلُّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ

والإملاء هو الإمهال مع إرادة العقوبة (إن كيدى متين) سمي فعله بهم كيدا لأنه شبيه بالكيد في أن ظاهره إحسان وباطنه خذلان (أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة) يعني بصاحبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فنفي عنه مانسب له المشركون من الجنون ، ويحتمل أن يكون قوله ما بصاحبهم من جنة معمولا لقوله أو لم يتفكروا فيوصل به ، والمعنى : أو لم يتفكروا فيعلمون أن ما بصاحبهم من جنة ، ويحتمل أن يكون الكلام قد تم في قوله : أو لم يتفكروا ثم ابتدأ إخبارا استئنافا لقوله ما بصاحبهم من جنة ، والأول أحسن (أو لم ينظروا) يعني نظر استدلال (ما خلق الله) عطف على الملكوت ويعني بقوله من شيء : جميع المخلوقات إذ جميعها دليل على وحدانية خالقها (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجالهم) أن الأولى مخففة من الثقيلة ، وهي عطف على الملكوت ، وأن الثانية مصدرية في موضع رفع بعسى ، وأجلهم يعني موتهم ، والمعنى لعلهم يموتون عن قريب ، فيذبحي لهم أن يسارعوا إلى النظر فيما يخصهم عند الله قبل حلول الأجل (فبأي حديث بعده) الضمير للقرآن (يسألونك عن الساعة) السائلون اليهود أو قريش ، وسميت القيامة ساعة لسرعة حسابها كقوله : وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب (أيان مرساها) معنى أيان : متى ، ومرساها : وقوعها وحدوثها ، وهي من الإرساء بمعنى الثبوت (قل إنما عليها عند ربى) أى استأثر الله بعلم وقوعها ولم يطلع عليه أحد (لا يجليها لوقتها إلا هو) معنى يجليها يظهرها ، فهو من الجلاء ضد الخفاء ، واللام في لوقتها ظرفية : أى عند وقتها ، والمعنى لا يظهر الساعة عند مجيء وقتها إلا الله (ثقلت في السموات والأرض) في معناه ثلاثة أقوال : الأول ثقلت على أهل السموات والأرض لهيبتها عندهم وخوفهم منها ، والثاني ثقلت على أهل السموات والأرض أنفسها لتفطر السماء فيها وتبديل الأرض ، والثالث معنى ثقلت : أى ثقل عليها أى خفي (يسألونك كأنك حفي عنها) الحفي بالشئ هو المهتل به المعنى به ، والمعنى : يسألونك عنها كأنك حفي بعلوها وقيل المعنى يسألونك عنها كأنك حفي بهم لقربك منهم ، فعنها على هذين القولين يتعلق يسألونك ، وقيل المعنى يسألونك كأنك حفي بالسؤال عنها (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) براءة من علم الغيب ، واستدلال على عدم علمه (وما مسني السوء) عطف على لاستكثرت من الخير أى لو علمت الغيب لاستكثرت من الخير ، واحترست من السوء ولكن لا أعلمه فيصبنى ما قدر لي من الخير والشر ، وقيل إن قوله وما مسني السوء : استئناف إخبار ، والسوء على هذا هو الجنون واتصاله بما قبله أحسن (لقوم يؤمنون) يجوز أن يتعلق ببشير ونذير معا أى أبشر المؤمنين

إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلًا خَفِيفًا فَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ هـ أَیْشُرُکُونَ مَا لَا یَخْلُقُ شَیْئًا وَهُمْ یَخْلُقُونَ هـ وَلَا یَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ یَنْصُرُونَ هـ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا یَتَّبِعُوكُمْ سِوَاكُمْ عَلَیْكُمْ أَدْعُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ مُصْنِفُونَ هـ إِنَّ الَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَیْسَتْ جِیُورًا

وأذهرهم ، وخص بهم البشارة والندارة ، لأنهم هم الذين ينتفعون بها ، ويجوز أن يتعلق بالبشارة وحدها ، ويكون المتعلق بنذير محذوف أى نذير للكافرين ، والأول أحسن (من نفس واحدة) يعنى آدم (زوجها) يعنى حواء (ليسكن إليها) يميل إليها ويستأنس بها (تغشاهما) كناية عن الجماع (حملت حملا خفيفا) أى خف عليها ولم تلق منه ما يباقى بعض الحوامل من حملهن من الأذى والكرب ، وقيل الحمل الخفيف المنى فى فرجها (فرت به) قيل معناه استمرت به إلى حين ميلاده ، وقيل معناه قامت وقعدت (فلما أثقلت) أى ثقل حملها وصارت به ثقيلة (لئن آتيتنا صالحا) أى ولدا صالحا سالما فى بدنه (فلما آتاها صالحا جعلاله شركاء فيما آتاها) أى لما آتاها ولدا صالحا كاطلبا : جعل أولادهما شركاء فى الكلام على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وكذلك فيما آتاها : أى فيما آتى أولادهما وذريتهما ، وقيل إن حواء لما حملت جاءها إبليس وقال لها : إن أطبتينى وسميت ما فى بطنك عبد الحارث ، فسأخلصه لك ، وكان اسم إبليس الحارث ، وإن عصيتيى فى ذلك قتلته ، فأخبرت بذلك آدم ، فقال لها إنه عدونا الذى أخرجنا من الجنة ، فلما ولدت مات الولد ثم حملت مرة أخرى فقال لها إبليس مثل ذلك ، فعصته فمات الولد ثم حملت مرة ثالثة فسمياه عبد الحارث طمعا فى حياته ، فقله جعلاله شركاء فيما آتاها : أى فى التسمية لا غير ، لافى عبادة غير الله ، والقول الأول أصح لثلاثة أوجه : أحدها أنه يقتضى براءة آدم وزوجه من قليل الشرك وكثيره ، وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والثانى أنه يدل على أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذريته لقوله تعالى : فتعالى الله عما يشركون بضمير الجمع ، والثالث أن ما ذكروا من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يفترق إلى نقل بسند صحيح ، وهو غير موجود فى تلك القصة ، وقيل من نفس واحدة هو قصى بن كلاب وزوجه جعلاله شركاء أى سموا أولادهما عبد العزى وعبد الدار وعبد مناف ، وهذا القول بعيد لوجهين أحدهما أن الخطاب على هذا خاص بذرية قصى من قریش والظاهر أن الخطاب عام لبني آدم ، والآخر أن قوله وجعل منها زوجها ، فإن هذا يصح فى حواء لأنها خلقت من ضلع آدم ، ولا يصح فى زوجة قصى (أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون) هذه الآية رد على المشركين من بنى آدم ، والمراد بقوله ما لا يخلق شيئا الأصنام وغيرها مما عبد من دون الله ، والمعنى أنها مخلوقة غير خالقة ، والله تعالى خالق غير مخلوق فهو الإله وحده (ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون) يعنى أن الأصنام لا ينصرون من عبدهم ، ولا ينصرون أنفسهم فهم فى غاية العجز والذلة ، فكيف يكونون آلهة (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم) يعنى أن الأصنام لا تجيب إذا دعيت إلى أن تهدي أو إلى أن تهدي ، لأنها جامادات (سواء عليكم ادعوتهم أم أنتم صامتون) تأكيد ويان لما قبلها ، فإن قيل : لم قال أم أنتم صامتون فوضع الجملة الإسمية موضع الجملة الفعلية وهلا قال أو صمتهم؟ فالجواب إن صمتهم عن دعاء الأصنام كانت حالة مستمرة ، فغيرها

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ أَلَمْ أَرْجُلِ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أَيْدِي يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أَعِينْ يَصِرُونَ بِهَا أَمْ لَمْ
أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظَرُونَ * إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى
الصَّالِحِينَ ۝ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ * وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى
لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ *

بجمله إسمية لنتقضى الاستمرار على ذلك (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) رد على المشركين بأن
آلهتهم عباد؛ فكيف يعبد العبد مع ربه (فادعوه فليستجيبوا) أمر على جهة التعجيز (أم لم أرجل يمشون بها)
وما بعده : معناه أن الأصنام جمادات عادية للحس والجوارح والحياة والقدرة ، ومن كان كذلك : لا يكون
إلهاً ، فإن من وصف الإله الإدراك والحياة والقدرة ؛ وإنما جاء هذا البرهان بلفظ الاستفهام ، لأن المشركين
مقرون أن أصنامهم لا تمشي ولا تبطش ، ولا تبصر ، ولا تسمع ، فلزمته الحجة ، والهمزة في قوله « ألهم »
للاستفهام مع التوبيخ ، وأم في الموضع الثلاثة تضمنت معنى الهمزة ، ومعنى بل وليست عاطفة (قل
ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) المعنى استجدوا أصنامكم لمضرتي والسكيد على ، ولا تؤخروني ،
فإنكم وأصنامكم لا تقدرُونَ على مضرتي ، ومقصد الآية الرذ عليهم ببيان عجز أصنامهم وعدم قدرتها على
المضرة ، وفيها إشارة إلى التوكل على الله والاعتصام به وحده وأن غيره لا يقدر على شيء ثم أفصح بذلك
في قوله (إن ولي الله) الآية : أى هو حافظي وناصرى منكم فلا تضروني ولو حرصتم أتم وآلهتكم على
مضرتي ، ثم وصف الله بأنه الذى أنزل الكتاب ، وبأنه يتولى الصالحين ، وفي هذين الوصفين استدلال على
صدق النبي صلى الله عليه وسلم بإنزال الكتاب عليه ، وبأن الله تولى حفظه ، ومن تولى حفظه فهو من الصالحين
والصالح لا بد أن يكون صادقاً في قوله ولا سيما فيما يقوله عن الله (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون
نصركم) الآية : رد على المشركين ، وقد تقدم معناه (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعون) يحتمل أن يريد الأصنام
فيكون تحقيراً لهم ، ورداً على من عبدها ، فإنها جمادات لا تسمع شيئاً ، فيكون المعنى كالذى تقدم ، أو يريد
الكفار ، ووصفهم بأنهم لا يسمعون يعنى سماعاً ينتفعون به ، لإفراط نفورهم ، أو لأن الله طبع على قلوبهم
(وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) إن كان هذا من وصف الأصنام ، فقوله ينظرون مجاز ، وقوله لا يبصرون
حقيقة ، لأن لهم صورة الأعين وهم لا يرون بها شيئاً ، وإن كان من وصف الكفار فينظرون حقيقة ولا
يبصرون مجازاً على وجه المبالغة كما وصفهم بأنهم لا يسمعون (خذ العفو) فيه قولان أحدهما أن المعنى خذ من
الناس في أخلاقهم وأقوالهم ومعاشرتهم ما تيسر لا ما يشق عليهم ، ثلثا ينفروا فالعفو على هذا يعنى السهل
والصفح عنهم ، وهو ضد الجهل والتكليف كقول الشاعر ۝ خذ العفو منى تستدبى مودتى ۝

والآخر أن المعنى خذ من الصدقات ما سهل على الناس في أموالهم أو ما فضل لهم ، وذلك قبل فرض الزكاة ،
فالعفو على هذا بمعنى السهل أو بمعنى الكثرة (وأمر بالعرف) أى بالمعروف وهو فعل الخير وقيل العفو
الجارى بين الناس من العوائد ، واحتج المالكية بذلك على الحكم بالعوائد (وأعرض عن الجاهلين) أى
لا تكافئ السفهاء بمثل قولهم أو فعلهم واحلم عنهم ، ولما نزلت هذه الآية سأل رسول الله صلى الله تعالى

وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۚ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۚ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۚ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ

عليه وآله وسلم جبريل عنها ، فقال لأدري حتى أسأل : ثم رجع فقال يا محمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، وعن جعفر الصادق : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فيها بمكارم الأخلاق ، وهى على هذا ثابتة الحكم وهو الصحيح ، وقيل كانت مداراة للكفار ، ثم نسخت بالقتال (وإما ينزغك من الشيطان نزغ) نزغ الشيطان وسوسته بالتشكيك في الحق والأمر بالمعاصي أو تحريك العصب ، فأمر الله بالاستعاذة منه عند ذلك كما ورد في الحديث أن رجلاً اشتد غضبه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما به : نعوذ بالله من الشيطان الرجيم (طائف من الشيطان) معناه لمة منه ، كما جاء إن للشيطان لمة والملاك لمة ، ومن قرأ طائف بالالف ، فهو اسم فاعل ومن قرأ طيف بياء ساكنة ، فهو مصدر أو تخفيف من طيف المشدد ، كيت وميت (تذكروا) حذف مفعوله ليعلم كل ما يذكر من خوف عقاب الله ، أو رجاء ثوابه أو مراقبته والحياء منه ، أو عداوة الشيطان والاستعاذة منه والنظر والاعتبار وغير ذلك (فإذا هم مبصرون) هو من بصيرة القلب (وإخوانهم يمدونهم في الغي) الضمير في إخوانهم للشياطين ، وأريد بقوله طائف من الشيطان : الجنس ، ولذلك أعيد عليه ضمير الجماعة وإخوانهم هم الكفار ، ومعنى يمدونهم : يكونون مددا لهم : يعضدونهم ، وضمير المفعول في يمدونهم للكفار ، وضمير الفاعل للشيطان ، ويحتمل أن يريد بالإخوان : الشياطين ، ويكون الضمير في إخوانهم للكفار ، والمعنى على الوجهين : أن الكفار يمدهم الشيطان وقرئ يمدونهم بضم الياء وفتحها ، والمعنى واحد ، وفي الغي يتعلق بيمدونهم ، وقيل يتعلق بإخوانهم كما تقول إخوة في الله ، أو في الشيطان (ثم لا يقصرون) أى لا يقصر الشياطين عن إمداد إخوانهم الكفار أو لا يقصر الكفار عن غيهم ، وفي الآية من إدراك البيان لزوم ما لا يلزم بالالتزام الصادق قبل الرأى في مبصرون ولا يقصرون (وإذا لم تأتكم بآية قالوا لولا اجتبيتها) الضمير في لم تأتكم للكفار ، ولولا هنا عوض ، وفي معنى اجتبيتها قولان : أحدهما اخترعتها من قبل نفسك ، فالآية على هذا من القرآن ، وكان النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يتأخر عنه الوحي أحيانا ، فيقول الكفار هلا جئت بقرآن من قولك ، والآخر معناه طلبتها من الله ، وتأخيرتها عليه ، فالآية على هذا معجزة ، أى يقولون اطلب المعجزة من الله (قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي معناه لا اخترع القرآن على القول الأول ولا أطلب آية من الله على القول الثاني (هذا بصائر) أى علامات هدى والإشارة إلى القرآن (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة ، والثاني أنه الإنصات للخطبة ، والثالث أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق وهو الراجح لوجهين : أحدهما أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه ، والثاني أن الآية مكية ، والخطبة إنما

وَالْأَصَالُ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ هَ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ه

سورة الأنفال

مدنية إلا من آية ٣٠ إلى غاية آية ٣٦ فكية وآياتها ٧٥ نزلت بعد البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رُبِّهِمْ يُتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *

شرعت بالمدينة (اعلمكم ترحمون) قال بعضهم الرحمة أقرب شيء إلى مستمع القرآن لهذه الآية (واذكر ربك نفسك) يحتمل أن يريد الذكر بالقلب دون اللسان أو الذكر باللسان سرا، فعلى الأول يكون قوله : ودون الجهر من القول ؛ عطف متغاير أى حالة أخرى، وعلى الثانى يكون بيانا وتفسيرا للأول (بالغزو والآصال) أى فى الصباح والعشى والآصال جمع أصل والآصل جمع أصيل، قيل المراد صلاة الصبح والعصر، وقيل فرض الخمس والأظهر الإطلاق (إن الذين عند ربك) هم الملائكة عليهم السلام، وفى ذكرهم تحريض للمؤمنين وتعريض للكفار (وله يسجدون) قدم المجرور لمعنى الحصر أى لا يسجدون إلا لله والله أعلم

سورة الأنفال

نزلت هذه السورة فى غزوة بدر وغنائمها (يسألونك عن الأنفال) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والسائلون هم الصحابة، والأنفال هى الغنائم، وذلك أنهم كانوا يوم بدر ثلاث فرق: فرقة مع النبي صلى الله عليه وسلم فى العريش تحرسه، وفرقة اتبعوا المشركين فقتلوه وأسروه، وفرقة أحاطوا بأسلاب العدو وعسكرهم لما انهزموا، فلما انجلى الحرب واجتمع الناس رأت كل فرقة أنها أحق بالغنيمة من غيرها، واختلفوا فيما بينهم، فنزلت الآية ومعناها يسألونك عن حكم الغنيمة ومن يستحقها، وقيل الأنفال هنا ما ينقله الإمام لبعض الجيش من الغنيمة زيادة على حظه، وقد اختلف الفقهاء هل يكون ذلك التنفيل من الخمس وهو قول مالك، أو من الأربعة الأقسام، أو من رأس النعمة، قبل إخراج الخمس (قل الأنفال لله والرسول) أى الحكم فيهما لله والرسول لا لكم (وأصلحوا ذات بينكم) أى اتفقوا واتفقوا، ولا تنازعوا، وذات هنا بمعنى الأحوال، قاله الزمخشري، وقال ابن عطية يراد بها فى هذا الموضع نفس الشيء وحقيقته وقال الزبيرى إن إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته ليس من كلام العرب (وأطيعوا الله ورسوله) يريد فى الحكم فى الغنائم، قال عبادة بن الصامت نزلت فينا أصحاب بدر حين اختلفنا وسامت أخلاقنا، فزرع الله الأنفال من أيدينا، وجعلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها على السواء، فكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين (إنما المؤمنون) الآية: أى الكاملون بالإيمان فانما هنا للتأكيد والمبالغة والحصر (وجلّت قلوبهم) أى خافت وقرأ أبى بن كعب فزعت (زادتهم إيماناً) أى قوى تصديقهم وبقيهم